الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة ابن خلدون –تيارت–
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
قسم التاريخ

مذكرة مقدمة ضمن متطلبات شهادة الماستر تخصص تاريخ الغرب الإسلامي في العصر الوسيط موسومة بـ:

محن العلماء في المغرب والأندلس

إعداد الطالبين:

- حساني عابد
- بكاي عمر

إشراف الدكتور:

أ. بوخلوة حسين

أعضاء لجنة المناقشة:

الاسم واللقب	الرتبة	الصفة
بوخلوة حسين	أستاذ محاضر أ	مشرفا ومقررا
تاج محمد	أستاذ دكتور	رئيسا
الحبيب حاكمي	أستاذ محاضر أ	مناقشا

السنة الجامعية: 2024–2025م / 1446–1447هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

الشكر والتقدير

نتقدم بخالص الشكر والتقدير الى الله تعالى الذي وفقنا للإتمام هذا البحث، ثم الى من أشرف على مشروع تخرجنا من بدايته حتى نهايته، وفاءً وتقديرًا واعترافًا منا بالجميل والفضل الجزيل للدكتور "**بوخلوة حسين**".

الذي كان له الدور الأكبر في توجيهنا ومساندتنا طوال فترة إعداد هذا البحث, وإلى أولئك الذين أناروا طريقنا بمعرفتهم إلى من أعطوا وأجزلوا في العطاء بعلمهم وخبرتهم ولم يبخلوا علينا بمعلومة أساتذتنا.

إلى منارة العلم إلى الصرح الشامخ: جامعة ابن خلدون تيارت.

نهديكم جميعا هذا الإنجاز وثمرة نجاحنا الذي لطالما تمنيناه ها نحن اليوم أتممنا أول ثمراته راجيين من الله تعالى أن ينفعنا بعلمنا وأن يعلمنا ما نجهل منه ويجعله حجة لنا لا علينا.

الإهداء

"يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ"

سورة المجادلة، الآية 11.

"وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تعملون"

سورة التوبة الآية 105

الحمد لله عند البدء وعند الختام، فما تناهى درب، ولا ختم جهد، ولا تم سعي إلا بفضله فمن قال أنا لها نالها، ونحن لها وإن أبت رغماً عنها أتينا بها.

أهدي هذا النجاح لنفسي أولا ثم إلى كل من سعى معي لإتمام هذه المسيرة دمتم لي سندا لا عمرا.

بعد الجهد والصبر وطول السهر قد وصلت لنهايات حلمي وكلي فخر وفرح بإنجازي وأسأل الله أن يجعله خير لي وينفعني به

أهدي ثواب هذا البحث إلى من لا ينفصل اسمي عن اسمه إلى الرجل علمني ووجهني وبذل كل ما بوسعه ولم يبخل وهو مصدر قوتي وفخري لطالما عاهدته بهذا النجاح أنا أتممت وعدي وأهديته إليك والدي الحبيب "حفظك الله"

إلى والدي وحبيب قلبي رحمه الله الذي لطالما كانت إحدى أحلامه أن يرى نجاحي النور الذي أنار دربي والسراج الذي لا ينطفئ نوره بقلبي الذي توسده التراب قبل أن يحقق أمنيته

إلى نبراس أيامي ووهج حياتي إلى رفيقة الدرب والداعم الأولى في حياتي التي ظلت دعواتها تضم اسمي دائما أمي حفظها الله لي

وأخيرًا إلى كل من ساعدني، وكان له دور من قريب أو بعيد في إتمام هذه الدراسة

سائلين المولى أن يجزي الجميع خير الجزاء في الدنيا والآخرة, ثم إلى كل طالب علم سعى بعلمه، ليفيد الإسلام والمسلمين بكل ما أعطاه الله من علم ومعرفة.

دليل المختصرات:

الكلمة	اختصارها
تحقيق	تح
طبعة	ط
الجزء	ج
مجلد	مج
صفحة	ص
من صفحة كذا إلى صفحة كذا	ص–ص
توفي	ت
عدد	ع
هجري	هـ
ميلادي	م

مقدمة

مقدمة

يُعدّ التاريخ الفكري والحضاري للعالم الإسلامي في المغرب والأندلس من أغنى الفصول التي عرفتها الأمة الإسلامية، لما تميز به من تداخل بين الدين والسياسة، الفكر والسلطة، العلم والإيديولوجيا. إذ شهد التاريخ الإسلامي في المغرب والأندلس محطات حافلة بالعطاء الفكري والعلمي، غير أن هذا العطاء لم يكن دائماً محاطاً بالأمن والاستقرار، بل كثيراً ما اصطدم العلماء – فقهاءً وفلاسفةً – بأنظمة الحكم أو التيارات الدينية الرسمية، مما جعلهم عرضة لمحن قاسية شملت الاضطهاد, النفي, التكفير, السجن, بل وحتى القتل. لذلك تمثّل محنة العلماء ظاهرة بالغة الدلالة على طبيعة العلاقة بين الفكر والسلطة، وتعكس صراعاً عميقاً بين المبدأ والواقع، بين الاستقلال العلمي ومتطلبات الحكم والشرعية السياسية أو العقدية.

ولقد تعرّض العديد من العلماء، سواء من فقهاء المذهب المالكي في المغرب أو من الفلاسفة في الأندلس، إلى أشكال مختلفة من المحن، تراوحت بين الإقصاء والتضييق والسجن، بل والإعدام أحياناً, ولم تكن هذه المحن ناتجة عن خلافات علمية فحسب، بل كانت في الغالب تعبيراً عن صراع عميق بين مشروع علمي يحاول الحفاظ على استقلاليته ومرجعيته، ومشروع سياسي يسعى إلى تطويع الفكر لخدمة شرعيته, فاستقر عنوان بحثنا على العنوان الآتي "**محن العلماء في المغرب والأندلس**".

لذلك تسعى هذه المذكرة إلى تسليط الضوء على أبرز نماذج هذه المحن، في محاولة لفهم السياق التاريخي والسياسي والفكري الذي أفرزها، والكشف عن تداعياتها على تطور الفكر والمجتمع في المغرب والأندلس. فمحنة العالم لم تكن مجرد واقعة فردية، بل كانت شاهداً على اختلالات بنيوية في العلاقة بين الفكر والسلطة، وعلى مفارقات حضارية كان لها أبلغ الأثر في مسار الأمة.

وإذ نتتبع في فصول هذه الدراسة محن فقهاء المالكية في المغرب، ومحن الفلاسفة في الأندلس، ثم القمع والمضايقات التي تعرّض لها العلماء خلال العهدين المرابطي والموحدي، فإننا لا نرصد فقط الألم والمعاناة، بل نُبرز أيضاً صور الصمود والثبات، ونُظهر كيف

مقدمة

شكّلت المحنة أحياناً قوة دافعة لتجديد الفكر أو مقاومة الانحراف السياسي، وأحياناً أخرى علامة على انحدار حضاري شامل.

ولقد دفعتنا عدة أسباب لاختيار هذا الموضوع أهمها:

- الرغبة في فهم الخلفيات التاريخية والفكرية التي أفرزت هذه المحن.
- تسليط الضوء على النماذج التي صمدت في وجه التحديات, ومدى تأثير هذه المحن على تطور الفكر والمذهب والهوية الحضارية في المغرب والأندلس.
- كما أن هذا الموضوع يكتسي راهنية كبيرة، نظراً لما يطرحه من أسئلة حول حرية التفكير ومكانة العلماء في المجتمع، وحدود العلاقة بين الدين والسياسة.

تكتسي هذه الدراسة أهميتها من كونها تحلل ظاهرة متكررة في التاريخ الإسلامي من منظور علمي وتاريخي متوازن، وتعيد الاعتبار إلى أدوار العلماء ليس فقط كناقلين للمعرفة، بل كفاعلين اجتماعيين وثقافيين، غالباً ما كانوا في مواجهة مباشرة مع السلطة. كما تبرز أهمية هذه الدراسة في كونها تكشف عن جذور بعض الإشكالات الفكرية التي لا تزال حاضرة إلى اليوم، مثل صراع النص والعقل، وحدود الاجتهاد، وحرية الفكر.

ونسعى في هذا البحث لمحاولة الإجابة عن إشكالية محورية تتعلق بمعالجة عنوان البحث, وأسئلة محورية فرضتها فصول الدراسة: فتمثلت إشكالية بحثنا المحورية في:

- **ماهي المحن التي تعرض لها العلماء في المغرب والأندلس؟ وكيف أسهمت في تشكيل الوعي الديني والفكري والسياسي في المنطقة؟**

وسنحاول تحليل ومعالجة إشكاليتنا المحورية من خلال الإجابة على مجموعة من التساؤلات يمكن إيجازها فيما يلي:

- ما هي نماذج محن العلماء في بلاد المغرب وتداعياتها على الفقه المالكي؟
- فيما تجلت نماذج محن الفلاسفة في الأندلس؟
- ما هي محن العلماء في العهد المرابطي والموحدي ودورهم في بناء الحضارة؟

مقدمة

ككل بحث لا يبدأ من فراغ استندت هذه الدراسة لدراسات سابقة تناولت بعض محن العلماء بشكل جزئي ضمن سياق تطور المدارس الفقهية أو الفلسفية، أو في إطار التأريخ للدول المغربية والأندلسية. ومن أبرز هذه الدراسات:

- فطيمة مطهري, مقال دور العلماء وأثرهم السياسي في توحيد المغرب والأندلس في عهد المرابطين, مجلة الحكمة للدراسات الإسلامية, جامعة تلمسان, المجلد3, العدد2, 2016؛ التي عالجت فيه بوادر ظهور المرابطين وفضل العلماء في تأسيس دولتهم, ودور العلماء في توحيد المغرب والأندلس.
- علي سليمان نصر, محن العلماء وأثرها على الحياة الفكرية في الأندلس عصر بني أمية (138- 422هـ/ 755- 1031م), كلية الآداب جامعة المنوفية قسم التاريخ, مجلة الدراسات التاريخية والحضارية المصرية, المجلد6, العدد10, أفريل 2021؛ الذي تناول مكانة العلماء في المجتمع الأندلسي خلال العصر الأموي, أسباب المحن وتنوعها, أهم أنواع المحن التي تعرض لها العلماء, وأثر المحن على الحياة الفكرية في الأندلس خلال هذه الفترة دون تعرض للمحن في بلاد المغرب.
- أسعد حومد, محنة العرب في الأندلس, المؤسسة العربية للدراسات والنشر, بيروت, ط2, 1988. جعل القسم الأول بعنوان "الفتح"؛ عالج فيه الفتح الإسلامي في شمالي إفريقيا وإسبانيا, أما القسم الثاني حول المعاملة والثالث حول الثورات في حين جعل القسم الرابع بعنوان "خاتمة المحنة" والقسم الخامس لحضارة العرب.
- كما تطرقت كتابات المعاصرين مثل عبد الله العروي ومحمد عابد الجابري إلى جانب من هذه المحن في إطار نقد الفكر العربي.

وما اختلفت فيه مذكرتنا مع الدراسات السابقة هي تناول محن العلماء في المغرب والأندلس كمفهوم مركزي يحتاج إلى دراسة أكثر شمولاً وتركيباً، وهو ما تسعى هذه المذكرة إلى معالجته.

مقدمة

تعتمد هذه الدراسة منهجاً تاريخياً تحليلياً، ينطلق من تتبع مفهوم المحن في سياقها التاريخي، وتحلل أنواعها وأسبابها وتداعياتها من خلال استقراء النصوص التاريخية. كما تستند إلى منهج مقارن عند تناول الاختلاف بين المحن التي تعرض لها فقهاء المالكية في بلاد المغرب والفلاسفة في الأندلس، وكذلك محن العلماء في العهد المرابطي والموحدي بغية فهم الفروقات في السياق والنتائج.

وللإجابة على إشكالية البحث المحورية وأسئلته الفرعية:

مقدمة تمهيدية توضح ما سنعالجه في البحث.

وتحدثنا في **الفصل التمهيدي** عن مفهوم محن العلماء فتطرقنا فيه إلى المعنى اللغوي والاصطلاحي للمحن, أنواعها وأسباب محن العلماء وكذلك مؤلفاتهم.

أما **الفصل الأول:** فكان حول نماذج من محن علماء المالكية في بلاد المغرب؛ تعرضنا فيه إلى محن فقهاء المالكية في عهد الدولة الأغلبية, ومحن فقهاء المالكية في عهد الدولة العبيدية, وتداعيات المحن على الفقه المالكي.

أما **الفصل الثاني** فعالجنا فيه: نماذج من محن فلاسفة الأندلس تعرضنا فيه إلى مكانة الفلاسفة في بلاد الأندلس, نماذج من فلاسفة الأندلس, وفلاسفة امتحنوا في بلاد الأندلس.

في حين كان **الفصل الثالث** حول: محن العلماء في العهد المرابطي والموحدي تطرقنا فيه إلى أوجه القمع المرابطي لعلماء المالكية, مضايقة الموحدية لعلماء المالكية, ودور العلماء في بناء الحضارة وانهيارها.

و**خاتمة** تضمنت أهم نتائج البحث المتوصل إليها.

ولبناء هذه الخطة استندنا إلى مجموعة مصادر ومراجع من بينها:

- أبو محمود الزناتي, كتاب المجاهرون بالزندقة والمتهمون بها في الأندلس منذ عصر الإمارة الأموية (حتى سقوط دولة المرابطين).
- أبو بكر المالكي, كتاب رياض النفوس في طبقات علماء إفريقيا وزهادهم وسير من أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم.

مقدمة

- علي سلمان محمد, مقال محن العلماء وأثرها على الحياة الفكرية في الأندلس, عصر بني أمية (138- 422هـ/ 755- 1031م)

وقد واجهنا في بحثنا مجموعة صعوبات من بينها:

- ندرة المصادر المباشرة فأغلب المصادر التي تناولت محن العلماء لم تخصص لها فصولاً أو دراسات مستقلة، بل اكتفت بإشارات متفرقة داخل الكتب أو المقالات، مما يصعّب تجميع صورة دقيقة ومتكاملة عن طبيعة المحنة وظروفها.
- المعلومات المتعلقة بمحن العلماء منتشرة بين مصادر فقهية، وفلسفية، وتاريخية، وكل منها يعكس وجهة نظر خاصة، ما فرض علينا الباحث مجهوداً إضافياً في التحقق والمقارنة واختيار ما يناسب الموضوع فقط.
- قلة الدراسات الأكاديمية الحديثة المتخصصة في الموضوع فرغم كثرة البحوث حول التاريخ السياسي أو الفكري للمغرب والأندلس، فإن الدراسات التي تركز على محنة العلماء كظاهرة تاريخية لا تزال قليلة جدا.
- تنوع المذاهب والتيارات في المغرب والأندلس واختلاف المرجعيات العقدية (المالكية، الشيعية، الظاهرية، الفلسفية...) يُصعّب مهمة التعميم، ويتطلب من الباحث مراعاة الخصوصية الفكرية لكل حالة على حدة.
- صعوبة الوصول إلى بعض المصادر النادرة أو المخطوطة فبعض الروايات المفيدة حول محن العلماء لا تزال محفوظة في المخطوطات أو طبعات نادرة، وهو ما قد يحد من شمولية البحث ويؤثر على التوثيق.

وختاما, نتوجه بالشكر إلى المشرف الدكتور "**بوخلوة حسين**" على ما قدّمه لنا من نصائح وتوجيهات وملاحظات قيمة منهجية ومعرفية خلال كتابة هذا البحث, فجزاه الله عنا خير الجزاء, وشكري موصول للجنة المناقشة لتكبدهم عناء قراءة هذا البحث, فلهم مني وافر الشكر والتقدير.

الفصل التمهيدي: مفهوم محن العلماء

أولا: المعنى اللغوي والاصطلاحي للمحن

.ثانيا: أنواع محن العلماء

ثالثا: أسباب محن العلماء

رابعا: فوائد المحن

خامسا: مؤلفات المحن

الفصل التمهيدي: مفهوم محن العلماء

مدخل: مفهوم محن العلماء

أولا: المعنى اللغوي والاصطلاحي للمحنة:

أ- المحنة: لغة :

يعبر عن المحنة بألفاظ مختلفة منها: نابته نوبة، غرته نكبة، مسته محنة، ألم به سوء، جرت عليه محنة، وامتحن القول أي[1] غرته أي نظر فيه ودبره.

يقال محن فلان: ويقصد به أنه قع في محنة، فهو ممحون ويقال امتحن فلانا: أي اختبره وابتلاه، والمحنة هي البلاء والشدة وجمعها محن.[2]

جاء في لسان العرب تعريفها بـ :"محنته وامتحنته، بمنزلة خبرته واختبرته وبلوته وابتليته، وأصل المعنى: الضرب بالسوط.

والمحنة: واحدة المحن التي يمتحن بها الإنسان من بلية."

والمحنة هي يأخذ السلطان الرجل فيمتحنه.[3]

ويقول الله تعالى في كتابه الحكيم: ﴿إِنَّ الذِينَ يَغُضُونَ أَصْوَاتَهُمْ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ أولئِك امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبُهُم للتقْوَى لَهُم مَغْفِرَةٌ وأَجْرٌ عَظِيم﴾[4]. وجاء هنا لفظ المنحنة بمعنى الاختيار.

---

[1]- علي سلمان محمد، محن العلماء وأثرها على الحياة الفكرية في الأندلس، عصر بني أمية (138-422هـ/755-1031م)، مجلة الدراسات التاريخية والحضارية المصرية، العدد 10، ج2، 2021، ص 241,

[2]- شوقي ضيف وآخرون، معجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، ط4، مكتبة الشروق الدولية، 1425هـ-2004م، ص 856.

[3]- بن منظور أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، مج 13، نشر الحوزة، 1405هـ، ص 402.

[4]- القرآن الكريم، الحجرات، الآية 03.

الفصل التمهيدي: مفهوم محن العلماء

وقال الله عز وجل في كتابه العزيز في سورة الممتحنة: ﴿يَا أَيُهَا الذِين آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمْ المُؤْمِناتُ مُهَاجِراتِ فامْتحِنُوهُنَّ الله أعلم بإيمَانِهُنَّ فإِنْ عَلِمْتمُوهنَّ مُؤْمِنات فَلَا تُرْجِعُوهُنَّ إِلَى الكُفَارِ لَا هُنَ حِلٌ لَهُم ولَا هُم يَحِلُون لَهُنَ...﴾[1]. هنا جاءت بمعنى الاختبار.

ب- المحنة اصطلاحا :

هي البلاء الذي يصيب الفرد أو الأفراد، من الله – عزوجل- أو من السلطان، أو غيره، فيكون ذلك بمثابة التمحيص للنبات على الحق والصرامة في التصدق للباطل أو الصبر عليه.[2]

وهي إحدى تمحيص الإيمان وقدرة تحمله الصبر ومواجهة الشدائد الصعاب.[3]

وشاع مصطلح المحنة لوصف ما يتعرض له العلماء على يد الحكام وكان العلماء أكثر اصطداما بالسلطة هم فئة الفقهاء، وتعرضوا إلى الجلد والسجن والنفي والقتل.[4]

فالأئمة مذاهب أربعة كل منهم أصابته محنة، فالإمام مالك[5] أصابته محنة بسبب فتواه بعدم وقوع الطلاق المكره.

فتعرض مالك بن أنس للضرب[6]، كما امتحن الإمام أبو حنيفة[1] من قبل الحلفاء العباسيين فسجن [2].

---

[1]- القرآن الكريم، الممتحنة، الآية 10.

[2]- علي سلمان محمد، المرجع نفسه، ص 241.

[3]- مصطفى ملص، محنة العلماء على يد الحكام والدهماء، مجلة الوحدة الإسلامية، ع146، 1435هـ/2014م، ص 01.

[4]- فاطمة الزهراء حميش، محن علماء الأندلس في القرنين 8-9هـ/14-15م، مكرة لنيل شهادة دكتوراهن جامعة الجزائر2، أبو قاسم سعد الله، 1441-1442هـ/2020-2021م، ص 70.

[5]- الإمام مالك: هو أبو عبد الله مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر بن الحارث بن عمرو بن غيمان بن خثيل بن عمرو بن الحارث، من بطون ذب أصبح من حمير سنة هـ، وتوفي سنة 179هـ، صاحب المذهب المالكي وهو من دار الهجرة، له عدة مؤلفات فقهية، ينظر: القاضي عياض ترتيب المدارك، ج1، ص 104-108.9. الملحق رقم (1).

[6]- عبد الغني الذخر، الإمام مالك بن أنس إمام دار الهجرة، ط 3.

كما امتحن الإمام أحمد بن حنبل[3] في عهد المأمون والمعتصم، وهو القول بخلق القرآن فكان رده هو كلام الله تعالى عبر مخلوق فسجن، ولبث في السجن عامين ونصفا، إن المحنة مهما تعدد جوانبها لا تستطيع أن تغير الرجال.

فالمحنة لا تستطيع أن تغير معدنهم، لأن معدنهم ثابت ثبوت عقيدتهم [4].

ثانيا: أنواع المحن :

✓ محنة السجن والاعتقال:

تعرض الكثير من العلماء للسجن من قبل الحكام، فالسجن يحطم النفوس وخاصة العلماء، فلم يجدوا في سجن إلا الشعر يعبرون به عن أوجاعهم وهمومهم ومن العلماء الذين سجنوا، أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي الغرناطي (ت 708هـ)، وابن هذيل التجيدي (ت753هـ) وله عدة أشعار عن مأساته في السجن وغيرهم[5].

دار العلم، دمشق، 1419هـ/1998م، ص 369-370.

[1]- الإمام أبو حنيفة: هو من أصل فارسي وقد أسر جده زوطي عندما فتح العرب فارس والعراق، ثم اعتق وكان ولاؤه بعد ذلك لبني تميم بن ثعلبة. ثم أسلم وانتقل من: كابل، بلده الاصلي الى الكوفة أين التقى بعلي بن أبي طالب وأصبحت بينهما محبة ومودة. وولد لزوطي هذا على الإسلام ولده ثابت الذي تعرف هو أيضا على علي بن أبي طالب. وولد لثابت هذا ولد هو العمان، وهو الذي أصبح إماما في الفقه يلقب بابي حنيفة. وكانت ولادته بالكوفة سنة 80 هـ. 699 م، وبها حفظ القرآن واطلع على السنة. توفي 150هـ، ينظر أصول التشريع الاسلامي, الهادي كرو ص65-73.الملحق رقم (3).

[2]- المرجع نفسه، ص 369.

[3]- الإمام أحمد بن حنبل: هو أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد بن إدريس بن عبد الله بن حيان بن عبد الله بن أنس بن عوف بن قاسم البغدادي، أحد أئمة الأعلام، ولد سنة 164هـ، وتوفي سنة 241هـ، امتحن الإمام أحمد في قول بخلق القرآن الكريم، وقد تعاقب عليه ثلاثة خلفاء سلموا عليه وهم المأمون، المعتصم، الواثق، ينظر سلمان بن محمد بن عبد الله الغيم، الممتحنون من علماء الإسلام، ص 122- 124. الملحق رقم (2).

[4]- عبد المقدسي الحافظ تقي الدين عبد الغني بن عبد الله الواحدين علي بن سرور، محنة الإمام بن محمد بن حنبل، تح: عبد الله عبد الحسن التركي، دار الهجر، ط1، 1407هـ/1987م، ص 9-11.

[5]- الحليم علي رمضان دويم، محن العلماء في الأندلس في عصر بني نصر 635-897هـ/ 1238-1492م، مجلة كلية الأدب، العدد 2017م، ص 411-412.

✓ **النفي:**

هناك عدة علماء أجبروا على مغادرة أوطانهم ومنهم من اختار المنفى هربا من السلطة، ومن العلماء الذين تعرضوا للنفي إسماعيل بن الأحمر (ت807هـ) وأيضا محمد بن أحمد بن قحطنة، وكذلك أبو حيان الأندلسي في سنة 679هـ، وأيضا لسان الدين الخطيب (ت776هـ)[1]، وغيرهم من العلماء.

✓ **ج- محنة القتل:**

قدم التاريخ صفحات حزينة ومؤلمة لا سيما محنة قتل العلماء، وتعرض عدد من العلماء الأندلسيين للقتل والاغتيال وحرمانهم من حق الحياة[2].

ومن هؤلاء العلماء الأديب محمد بن عبد الرحمان ابن الحكم (ت708هـ) ولقد قتل صبيحة عيد الفطر بطريقة بشعة بحيث طافوا بجثته في أرجاء غرناطة، كما أُغتيل الشاعر محمد بن خميس التلمساني سنة 708 هـ، كما قتل العديد من العلماء بسبب الفتن والمعارضة والاضطرابات السياسية[3].

✓ **د- محنة التعذيب:**

يأتي هذا النوع من المحن بعد السجن أو قبل القتل، وتعرض الكثير من علماء الغرب الإسلامي للتعذيب والضرب[4]، ومن العلماء الذين تعرضوا للجلد أبو عبد الله بن حزي وأيضا عبد الله بن فارس التلمساني حيث تعرض لضرب مبرح بسبب اتهامه بالسرقة وأيضا أحمد بن يوسف الأنصاري[5].

---

[1]- فاطمة الزهراء حميش، المرجع نفسه، ص 149-155.

[2]- عبد الحليم علي رمضان دويم، مرجع سابق، ص 425.

[3]- فاطمة الزهراء حميش، مرجع سابق، ص 161-167.

[4]- عبد الحليم علي رمضان دويم، المرجع نفسه، ص 429.

[5]- فاطمة الزهراء حميش، المرجع نفسه، ص 12-13.

✓ **هـ- محنة العزل:**

ويعتبر هذا النوع هو العزل من المنصب بسبب مواقف سياسية للعلماء مع السلطة أو نتيجة التحريض والحسد بين العلماء ومن العلماء الذين عزلوا القاضي الحسن بن الحسن الجذامي النباهي[1]، وأيضا أبو جعفر بن فركون والقاضي أبي القاسم سراج، وأيضا الفقيه محمد بن أحمد بن علي العثماني وفقيه محمد بن عبد الرحمان الفخار الجذامي وغيرهم من العلماء[2].

ثالثا: أسباب محن العلماء:

[1]- عبد الحليم علي رمضان دويم، مرجع سابق، ص 428.

[2]- فاطمة الزهراء حميش، مرجع سابق، ص 137-141.

تعددت وتنوعت الأسباب التي جعلت العلماء يمتحنون ومن هذه الأسباب نذكر:

- المنافسة الشديدة بين العلماء حول المناصب والشهرة وهذا ما ينتج عنه الغيرة والحسد، مما يلجأ بعض العلماء إلى الوشايات الكاذبة للتخلص من خصومهم، ووصولهم إلى درجات عالية وتقريب الحكام لهم.
- الخلافات الفقهية بين الفقهاء مع السلطة، مما يعرض العالم إلى السجن أو الضرب أو الطرد أو القتل.
- دخول العالم مع السلطان في خصومات، كما وقع لأبي حنيفة بسبب رفضه القضاء فسجن وكذلك الإمام مالك وغيره من العلماء.[1]
- دعم العالم للمتمردين على السلطة الحاكمة كما وقع للفقيه أبو العرب بن تميم التميمي (ت333هـ)، مع العبيديين الشيعة[2] بسبب دعمه لثورة أبي يزيد صاحب الحمار بإفريقيا .

رابعا: فوائد المحن:

[1]– كامل محمد جاهين، صور من محن المحدثين، مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية، العدد2، مجلد 9، 2017، ص 23

[2]– فاطمة الزهراء حميش، المرجع نفسه، ص 79.

الفصل التمهيدي: مفهوم محن العلماء

المحن سمة إلهية جارية على بني الإنسان، فمن الممتحنين من يوفقه الله لاستثمار تلك المحنة فينتج عنها فوائد، فتنقلب المحنة منحة، ومن فوائد المحن ما يلي:

1- معرفة عز الربوبية وقهرها، وذل العبودية وكسرها: ففي المحن يتحقق للعبد ذلة وانكسار، وافتقار لله وبهذا الافتقار والانكسار يقطع الالتفات إلى غير الله ويصبح متضرع إلى الله، ويتل بمناجاته، فلولا هذه المحنة من الله لبقي أسير الدرن وظلمة القلب.

2- تجريد الإخلاص لله تعالى: فمن ثمرات المحن أن يتحقق على يقين أنه لا منجى من غير الله.

3- الصدق اللجوء إلى الله بالتضرع والدعاء: فكم من محنة أثمرت للممتحن عبودية التضرع والدعاء، لأن القلب في أوقات الشدة والأزمات، يكون أقرب إلى الله تعالى، راجيا مبتهلا متضرعا منكسرا، فيستجيب له الله.

4- الرجوع إلى الله وتصحيح المسار: فإن مست الإنسان المحنة مساره ومراجعته نفسه وآرائه وتعامله مع الناس، ويعلم بأن ما أصابه إنما هو بسبب ما كسبت يداه[1] .

5- ترويض النفس على الثبات على الحق: فالمحن في ذات الله والشدائد، تطرق النفس بعنف وشدة فيشتد عودها ويصلب وتظهر النفس فتنفي عنها الخبث، فكلما اشتد البلاء كلما قوي عود الدعوة، وازداد المؤمنون إصرارا، فالذي امتحن ثم صبر وصابر فإنه يقوى إيمانه بإذن الله وتوفيقه.

6- تعويد النفس على الصبر وترويضها على تحمل الشدائد: حيث إن المحنة تكسب المرء شجاعة على تحمل المكروه وحبس النفس عن السخط والجزع[2] .

---

[1]- سليمان بن محمد بن عبد الله الغثيم، الممتحنون من علماء الإسلام من عصر التابعين إلى نهاية القرن الرابع عشر الهجري، ط1، دار القاسم للنشر والتوزيع، الرياض 1432هـ-2011م، ص 21-24.

[2]- سليمان بن محمد بن عبد الله الغثيم، المرجع نفسه، ص 24-25.

7- تربية النفس أن الدنيا لا تستقر على حال: فمما يجنيه الممتحن ترويض نفسه أن الدنيا جبلت على الكبد والنكد، فلا تستقر على حال ولا تصفوا لأحد، ففيها السراء والضراء والفرح والقرح، والغنى والفقر والضيق والفرج[1].

8- ارتفاع شأن العالم وعلو قدره: ومن ثمرات المحن ارتفاع شأن العالم الممتحن في الدنيا، فقد يكون العالم مغمورا في المجتمع لم ينتفع بعلمه ولم يلتفت إليه، فتحصل له محنة فيتسامع الناس بها ويتناقلونها، ويسألون عن تفاصيلها، ثم يتعاطفون مع ها العالم ويتعلون به، فإذا خرج من المحنة انكب الناس عليه لهذا نجد من علماء الإسلام الذي امتحنوا من شاع ذكرهم في الآفاق[2].

9- التأثير على الناس وثباتهم على الفتن: من أعظم الفوائد في محنة عالم أو فئة من المسلمين كما فعل الإمام أحمد ومن معه من العلماء في ثباتهم على الحق في بدعة خلق القرآن، وكلك كيف ثبت المسلمون في مصر أيام محنة سلاطين العبيديين لعلماء السنة فماتت البدعة وحيت السنة[3].

---

[1]- المرجع نفسه، ص 30.

[2]- المرجع نفسه، ص 31-32.

[3]- المرجع نفسه، ص 34-35.

خامسا: مؤلفات المحن :

ألفت عدة مصنفات في محن العلماء نذكر منها:

- محنة أمير المؤمنين، ابن دأب، عيسى بن يزيد الليثي(ت 171هـ).
- محنة أحمد بن حنبل، صالح بن أحمد بن حنبل(ت265هـ).
- كتاب محنة الأوصياء، العياشي، محمد بن مسعود (ت 320هـ).
- محنة الشافعي، الخلدي، أبو جعفر بن محمد (ت348هـ).
- كتاب محن الرسول وكر أحداثه، الصفواني: محمد بن أحمد (ت346هـ).
- كتاب محن الأنبياء والأوصياء والأولياء، العمى: أحمد بن إبراهيم بن أحمد (ت350هـ).
- محنة أحمد بن حنبل، حنبل بن إسحاق بن حنبل (ت373هـ).
- كتاب محنة الظراف في أخبار الشعراء،: النقامي محمد بن حمد (ت 383هـ).
- محنة الإمام أحمد بن حنبل المقدسي: تقي الدين عبد الغني (ت541هـ).
- المحنة في إمام أهل السنة وقائدهم إلى الجنة، الجماعيلي عبد الغني بن عبد الواحد بن عبد الواحد (ت600هـ).
- كتاب المحنة لجابر بن حيان (ت200هـ).
- كتاب محنة الطيب، نقل حنين بن إسحاق (ت260هـ).
- كتاب المحنة، الرازي: محمد بن زكريا (ت311هـ).[1]

[1]– أبو العرب محمد بن أحمد بن تميم التميمي، كتاب المحن، نح: هيب الجبوري، ط3، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1427هـ، ص 19–20.

الفصل الأول: نماذج من محن علماء المالكية في بلاد المغرب

أولا: بواعث انتشار المذهب المالكي وأعلامه

ثانيا: محن علماء المالكية خلال القرنين 2و3 للهجرة

ثالثا: محن علماء المالكية خلال القرن 4 للهجرة

الفصل الأول: نماذج من محن علماء المالكية في بلاد المغرب

أولا: بواعث انتشار المذهب المالكي وأعلامه.

1- أسباب انتشار المهب المالكي ببلاد المغرب الإسلامي.

2- أعلام الفقه المالكي ببلاد المغرب الإسلامي.

أ- عبد الله بن فروخ (ت176هـ).

ب- علي بن زياد التونسي (ت 183هـ).

ج- عبد الله بن غانم (ت190هـ).

ثانيا: محن علماء المالكية خلال القرنين 2و3 للهجرة

-أوضاع المغرب الإسلامي خلال القرنين 2و3 هجري.

2- نماذج من أعلام المالكية الذين امتحنوا.

أ- البهلول بن راشد (ت183هـ).

ب- سحنون بن سعيد التنوخي (ت240هـ).

ج- موسى بن معاربة الصمادي (ت226هـ).

د- عبد الله بن طالب التميمي (ت275هـ).

ثالثا: محن علماء المالكية خلال القرن 4 للهجرة.

1- أوضاع المغرب الإسلامي خلال القرن 3 للهجرة.

2- نماذج من أعلام المالكية الذين أمتحوا في عهد الدولة العبيدية.

أ- محمد بن محمد بن سحنون (ت307هـ).

ب- أحمد بن نصر الهواري (ت317هـ).

ج- محمد ين محمد الطرزي (ت 311هـ).

هـ- محمد بن محمد بت الكباد (ت333هـ).

الفصل الأول: نماذج من محن علماء المالكية في بلاد المغرب

تمهيد:

لم تكن المحن التي تعرض لها علماء المالكية في بلاد المغرب مجرد وقائع عابرة في سياق التاريخ السياسي والديني للمنطقة، بل كانت انعكاساً لصراعات أعمق تمحورت حول السلطة والمذهب والشرعية الدينية. فمع تشكّل الكيانات السياسية في الغرب الإسلامي، وخصوصاً الدول ذات الطابع المذهبي أو الأيديولوجي المتميز، كالدولتين الأغلبية والعبيدية، وجد فقهاء المالكية أنفسهم في مواجهة خيارات صعبة، بين الثبات على ما رسخ من اجتهادات المذهب المالكي، أو مسايرة الأنظمة القائمة التي كانت غالباً تتبنى مذاهب أخرى أو توجّهات سياسية مناوئة.

يسعى هذا الفصل إلى تسليط الضوء على نماذج من هذه المحن التي تعرض لها المالكيون في فترات مختلفة من تاريخ المغرب الإسلامي، من خلال ثلاثة محاور رئيسية. يُعنى المحور الأول برصد محن فقهاء المالكية في عهد الدولة الأَغلبية، وهي مرحلة مبكرة شهدت محاولات لتكريس المذهب المالكي لكنها لم تخلُ من صدامات مع السلطة السياسية. أما المحور الثاني فيتناول المحن في عهد الدولة العبيدية (الفاطمية)، حيث اتخذت المحنة طابعاً أكثر حدّة، نتيجة الصدام المذهبي بين المالكية والشيعة الإسماعيلية، وهو ما أفرز أشكالاً من الاضطهاد والتضييق على العلماء. وفي المحور الثالث، تُعرض تداعيات هذه المحن على المذهب المالكي ذاته، سواء على مستوى تطوره الفقهي أو حضوره الاجتماعي والسياسي.

إن تتبّع هذه النماذج لا يكشف فقط عن معاناة العلماء المالكيين، بل يُبرز كذلك صمودهم وإصرارهم على الدفاع عن هويتهم العلمية والمذهبية، مما كان له بالغ الأثر في ترسيخ المذهب المالكي كمكوّن رئيس في الهوية الدينية لبلاد المغرب.

الفصل الأول: نماذج من محن علماء المالكية في بلاد المغرب

أولا: بواعث انتشار المذهب المالكي وأعلامه:

1- أسباب انتشار المذهب المالكي:

تعددت الأسباب التي أدت إلى ترسيخ المذهب المالكي في بلاد المغرب الإسلامي، على غرار المذاهب الأخرى التي زالت بزوال الدول التي قامت على مذهب معين، مثل مذهب الأحناف مع دولة بني الأغلب، والمذهب الإسماعيلي مع الدولة العبيدية، وتتلخص أسباب انتشار المذهب المالكي إلى ما يلي:

أ- شخصية الإمام مالك صاحب المذهب:

عرف عن الإمام مالك تمسكه بالسنة، وبآثار الصحابة والتابعين، وسعيه لوضع الضوابط العلمية الصارمة والتحري في الرواية، كما كان يعظم العلم والدين حيث إذا أراد أن يحدث توضأ[1]، بالإضافة إلى ثناء الناس عليه حيث كان لا يفتي أحد في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم، إلا مالك بن أنس [2].

كما يرجع كثير منهم إلى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم :"يوشك أن يضرب الناس أكباد الإبل يطلبون العلم، فلا يجدون أحد أعلام من عالم المدينة[3]."

ب- رحلة المغاربة إلى مدينة رسول الله:

غلب على أهل بلاد المغرب قصد المدينة لأداء مناسك الحج، وبها كانوا يستمعون إلى الإمام مالك وأخذ العلم

---

[1]- سلمان قوراري، قراءة في عوامل انتشار المهب المالكي، مجلة الحوار الفكري، ص 178-179.

[2]- القاضي عياض ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة إعلام المذهب مالك، تح: محمد بن تاويت الطنجي، ج1/ وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، 1983، ط2، ص 78.

[3]- الترمذي، أبي عيسى محمد بن عيسى، الجامع الكبير، ج4، تح: بشار عواد عروف، لبنان، دار لغرب الإسلامي، 1996، ط1، باب ما جاء في عالم مدينة، رقم الحديث 2680، ص 412.

منه، وعند عودتهم إلى بلادهم كانوا ينشرون ذلك العلم[1]، ووضح ذلك ابن خلدون عندما قال في مقدمته :"وأما مالك رحمه الله تعالى فاختص بمذهبه أهل المغرب والأندلس، وإن كان يوجد في غيرهم، إلا أنهم لم يقلدوا غيره إلا في القليل لما أن رحلتهم كانت غالبا إلى الحجاز وهو منتهى سفرهم، والمدينة يومئذ دار العلم، ومنها الخروج إلى العراق، ولم يكن العراق في طريقهم، فاقتصروا على الأخذ عن علماء المدينة، وشيخهم يومئذ إمامهم مالك [2].

ج- تشابه البيئة الجغرافية وطبيعة العقلية بين الحجاز وبلاد المغرب:

أرجع ابن خلدون تمسك أهل المغرب بالمهب المالكي لتشابه البيئة بينهما وغلبت عليهم البداوة والبساطة، وبعد عن التعقيد[3].

د- اهتمام الإمام مالك بالطلبة المغاربة:

كان الإمام مالك يولي اهتمام خاصا بالطلبة المغاربة، وهذه العلاقة من خلال معاملته لهم، كما فعل مع عبد الله بن فروخ عندما أجلسه وأقعده في موضوع لا يستدعي أحدا إلى القعود فيه وسأله في أحواله وأموره وأخبار المغرب.

وهذا الأمر فعله أيضا مع ابن غانم، وكان يوصيهم بنشر مذهبه، ويعود هذا الاهتمام الخاص بالمغاربة هو إلى الأحداث التي كانت في بلاد المغرب، التي شهدت عدة تيارات دينية، صفرية، إباضية، معتزلة[4]...

هـ- علماء المغرب ونشرهم للمذهب المالكي:

تركيز فقهاء بلاد المغرب على نشر مذهب إمام دار الهجرة، كما يعتبر علي بن زياد التونسي أول من فسر لأهل بلدته موطأ الإمام مالك وعمل على ترسيخ مبادئه في تلاميذه

[1]- عمر الطاهر نابي عمر، أسباب انتشار المذهب المالكي بالمغرب، مجلة الرسالة، العدد3، البليدة، 2007، ث 70.

[2]- ابن خلدون عبد الرحمان، المقدمة، دار صادر لبنان، 200م، ط1، ص 333.

[3]- المصدر نفسه، ص 333.

[4]- معاذ عمراني، مرجع سابق، ص 86-87.

من بينهم أسد بن فرات وسحنون بن سعيد، ويتغير الإمام سحنون له جل الفضل في تثبت قواعد المذهب المالكي في بلاد المغرب، وغيرهم من أعلام الفقه المالكي الذين عملوا على نشره[1].

2- أعلام الفقه المالكي ببلاد المغرب الإسلامي:

اشتهر ببلاد المغرب الإسلامي عدة أعلام ينتمون إلى المذهب المالكي ومن بين علماء الفقه المالكي نذكر ما يلي:

أ- عبد الله بن فروخ (ت176هـ):

هو أبو محمد عبد الله بن فروخ الفارسي، كان من شيوخ أهل إفريقيا[2]. ولد بالأندلس سنة خمس عشرة ومائة (115هـ)، ثم انتقل إلى آخر إفريقيا وسكن القيروان[3]. ورحل إلى المشرق وأخذ العلم عن علمائها أمثال زكريا بن أبي زائدة وهشام بن حسان وعبد الملك بن جريح ومالك بن أنس، وأبي حنيفة وغيرهم، ثم انصرف إلى إفريقيا وأقام بالقيروان يعلم الناس ويحدثهم فانتفع به الخلق. ثم رحل إلى مصر ومات بها[4] سنة 176هـ، وهو ابن خمس وخمسين سنة وقيل ابن ستين سنة[5].

وترك عبد الله بن فروج ديوان يعرف باسمه، جمع فيه تساؤلاته لأبي حنيفة ومالك بن أنس، وأيضا كتاب الرد على أهل البدع والأهواء[6].

---

[1]- يوسف بن أحمد حواله، الحياة العلمية في إفريقيا(المغرب الأدنى)، منذ إتمام الفتح وحتى منتصف القرن الخامس الهجري، جامعة أم القرى، السعودية، ط1، 2000م، ج1، ص 277.

[2]- أبو العرب: محمد بن أحمد بن تميم التميمي، كتاب المحن، تح: يحيى الجوري، دار الغرب الإسلامي، ط3، 1427-2006م، ص 34.

[3]- المالكي: أبي بكر عبد الله بن محمد، رياض النفوس، تح: بشر البكوس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1403هـ-1983م، ج2، ص 27.

[4]- القاضي عياض، مصدر سابق، ج3، ص 102.

[5]- ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي، تقريب التذهيب، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1996، ج3، ص 423.

[6]- أبو العرب، المصدر نفسه، ص 111.

ب- علي بن زياد التونسي (ت183هـ)

هو أبو الحسن، وقيل أصله من العجم، ولد بطرابلس، ثم انتقل إلى تونس واستقر بها.[1]

وسمع من الإمام مالك، وروى عنه الموطأ، وسمع أيضا من الثوري والليق بن سعد وغيرهم.

كما أخذ عنه وسمع منه: البهلول بن راشد، وسحنون بن سعيد وأسد بن الفرات وغيرهم[2].

ويعتبر علي بن زياد أول من أدخل الموطأ، وفسر لهم قول مالك ، كما كان يقرأ عليهم كتاب خير من زمنه لابن شراس.[3]

فكان علي بن زيادة فقيها متعبدا بارعا في الفقه، ولم يكن في عصر بإفريقيا أعلم منه.

توفي سنة ثلاث وثمانين ومئة (183هـ).[4]

ج- عبد الله بن غانم (ت190هـ).

هو عبد الله بن عمر بن غانم بن شرحبيل أبو عبد الرحمان الراعيني[5] ويكنى بأبو عبد عبد الرحمان[6] .

وكان مولده مع مولد البهلول بن راشد في نفس الليلة وهي سنة 128 هـ، وكان يشتغل قاضي إفريقيا، وسمع من عد الإمام مالك وروى عنه وأيضا روى عن سفيان الثوري[1].

---

[1]- القاضي عياض، المصدر نفسه، ج3، ص34.

[2]- قاسم علي سعد، جمهرة تراجم الفقهاء المالكية، دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث، ط1، 1423هـ-2002م، ص 850.

[3]- القاضي عياض، المصدر السابق، ج3، ص 80-81.

[4]- قاسم علي سعد، المرجع نفسه، ص 250.

[5]- المرجع نفسه، ص 728.

[6]- القاضي عياض، مصدر سابق, ج3، ص 45.

وقال سلمان بن عمران أن الإمام مالك كان يهتم بابن غانم وكان يجلسه إلى جانبه ويسأله عن أخبار المغرب .

كما روي عن أبا عبد الرحمان القعنبي وأبا القاسم وسحنون وغيرهم[2].

وتوفي عبد الله في ربيع لأخر سنة تسعين ومائة (190) بعد إصابته بمرض الذي مات منه[3].

وبكى عليه الأمير إبراهيم ابن الأغلب وأقبل عليه حتى تم دفنه[4] .

---

[1]– المالكي، المصدر نفسه، ج1، ص 215.

[2]– قاسم علي سعد، المرجع نفسه، ص 729.

[3]– القاضي عياض، مصدر سابق، ج3، ص 65.

[4]– المالكي، مصدر سابق، ج1، ص 229.

ثانيا محن علماء المالكية خلال القرن 2 و3 الهجري:

1- أوضاع المغرب الأدنى خلال القرنين 2و3 هجري أنموذجا:

أ- الأحداث السياسية:

ارتبط قيام الدولة للأغلبية بالأحداث وفوضى واضطراب في الحكم العباسي[1]، ووسط هذه الظروف ظهر إبراهيم في الأغلب، وقد أصبح حاكما لدولة بني الأغلب كان قد خدم في جيوش بني المهلب، وبعدها أصبح عاملا لإقليم الزاب سنة 180هـ، وبدأ إبراهيم يتطلع إلى ولاية إفريقيا لعدة أسباب وهي: أن الوالي محمد بن مقاتل العكفي استاء معاملة جنده وقطع عنهم رواتبهم إضافة إلى ذلك إساءته للفقهاء بالإضافة إلى قيام إبراهيم بن الأغلب بالقضاء على ثورة تمام بن تميم[2].

وبعدها طلب إبراهيم من الأغلب من الرشيد إمارة إفريقيا مقابل أن يتنازل عن الإعانة السنوية التي ترد من مصدرها وقدرها مئة ألف ينار، بل تعهد بأن يدفع أربعين ألف دينار سنويا للخلافة، على أن تكون إمارة إفريقية له وله من بعده فوافق الرشيد على طلبه وإعطاء عهد بولاية إفريقيا في المحرم عام 184هـ[3].

ولم تكن عملية إفرازه الأمن في ولاية إفريقيا سهلة بل كانت محاطة بالكثير من العراقيل لا سيما أنها كانت مركزا للحركات الثورية المذهبية منذ الفتح الإسلامي بها[4].

---

[1]- محمود إسماعيل، الأغالبة _(184-296هـ)، سياستهم الخارجية، دار عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ط3، 2000م، ص 11.

[2]- ابن وردان، تاريخ مملكة الأغالبة، تح: محمد زينهم محمد عرب، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط1، 1408هـ-1988م، ص 30-31.

[3]- محمود إسماعيل، المرجع نفسه، ص 25.

[4]- عبد القادر رضوان، مدينة القيروان في عهد الأغالبة، (184-296هـ)، أطروحة دكتوراه، جامعة أم القرى، 1412هـ-1991م، ص 27.

ب- الأحداث الدينية:

تميزت الأحداث الدينية في المغرب الأدنى بالصراع المذهبي بين الأحناف مع الفقهاء المالكية إضافة إلى ذلك الصراع المالكي مع الفكر الاعتزالي، وتكمن أسباب هذا الصراع في:

- **مسألة القول بخلق القرآن الكريم:** اعتناق أمراء الأغالبة للمذهب الاعتزالي، وحمل الناس على الاعتقاد بها، بالقول بخلق القرآن وقراءته على المنابر[1].

- **مسألة النبيذ:** قام فقهاء المالكية تحريم شرب النبيذ، بالقول "كل مسكر خمر وكل مسكر حرام"، فحين تحليل النبيذ من قبل الأحناف وعذب حكام الأغالبة المالكين على هذا الأمر، فقام الفقهاء المالكية بوضع مؤلفات في هذه المسألة منها كتاب محمد بن سحنون (ت256هـ) وضع كتاب "تحريم المسكر" وأيضا كتاب "الأشربة" لأبو عبد الله مالك بن عيسى بن نصر القفصي (ت305هـ).[2]

ونجد أن أمراء بني الأغلب حاولوا الموازنة بين المذهبين، حيث تناوب على القضاء وحتى منصب الوزراء بين المالكين والأحناف[3].

[1]- محمد عليلي، الفكر المعتزلي في المغرب الإسلامي بواعث الظهور وأسباب الزوال، مجلة العبر للدراسات التاريخية والأثرية في شمال إفريقيا، مج 5، ع3، جوان، 2022، ص 427.

[2]- صبرين فنير، فاطمة بوعمامة، الحياة المذهبية والعلمية في دولة الأغالبة (124-296م)، مجلة الأحياء، مج 24، ع34، جانفي 2024، ص 364.

[3]- محمد عليلي، المرجع نفسه، ص 429.

2- نماذج من أعلام المالكية الذين امتحنوا في عهد بني الأغلب :

أ- البهلول ابن راشد(ت183هـ):

هو البهلول بن راشد الحجري الراعيني[1]، أبو عمرو القيرواني العابد [2].

كان البهلول مشغولا بالعبادة، وسمع الموطأ من علي بن زياد وابن غانم، وسمع جامع سفيان الصغير من أبي الخطاب وأبي خارجة والجامع الكبير من علي بن زياد، ودون الناس عنه.[3]

وأخذ عنه كل من سحنون بن سعيد، الخالد بن يزيد ويحيى بن سلام وغيرهم[4] .

وامتحن البهلول على يد العكفي أمير القيروان، الذي أمر بتجريده وضربه بالسياط وقام بحبسه.

وقال أبوزرجوية: أنه عندما كان مع البهلول بعد ضربه، أنهما سمعا صوت بكاء رجل، وبعد أن دخل عليهما فإذا به ابن فروخ، فسأله البهلول عن سبب ما يبكيه فأجابه أنه يبكي لظهر ضرب بغير حق فقال له البهلول: أنه قضاء وقدر[5].

وأما عن سبب الضرب أورد أبو العرب في كتابه: "وكان الكعبي أميرا على إفريقيا" وكان يلاطفه الطاغية بالألطاف ويكافئه على ذلك، فكتب الطاغية إلى الكعبي أن يبعث إليه، قال: فاختلف علينا فيما كتب أن يبعث إليه، قال: فاختلف علينا فيما كتب أن يبعث إليه، فقال قائل: جارية ضاربة مغنية، وقال قائل: كتب إليه في النحاس والحديد والسلاح،

---

[1]- المالكي، مصدر سابق، ص 200.

[2]- قاسم علي سعد/ مرجع سابق، ج 1، ص 3-6.

[3]- القاضي عياض، مصدر سابق، ج3، ص 87.

[4]- قاسم علي سعد، مرجع سابق، ص 3-6.

[5]- القاضي عياض، المصدر نفسه، ج3، ص 98-101.

فلما عزم الكعبي على أن يبحث إلى الطاغية، لم يسع البهلول السكوت، فتكلم وعارض الكعبي في ذلك ووعظه لتزول عنه الحجة من الله تبارك وتعالى، فلما ألح عليه في ذلك بعث في طلب البهلول تضربه بالسياط[1]."

وتوفي سنة ثلاث وثمانين ومائة (183هـ)، وقال سحنون أنه توفي بعد علي بن زياد بخمسة وثلاثين يوما.[2]

ب- موسى بن معاوية (ت226هـ):

هو ابن الفضل بن عون بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب، ويقال إنه: ابن أحمد بن عون بن معاوية بن عون بن عبد الله بن جعفر ابن أبي طالب، أبو جعفر الصماد حي القيرواني[3].

وقيل أنه ولده مع مولد سحنون، وبينهما ليلة، وكان موسى إذا أثر إليه سحنون يقول له: ما أبرك علينا تلك الليلة[4].

وكان صالحا عالما بالحديث والفقه وقال عنه سحنون :"ما جلس في الجامع منذ ثلاثين سنة أحق من موسى بالفتوى[5]."

وكان سحنون يعظمه ويقدره ويقدمه بين يديه في المجالس، ورحل موسى من إفريقيا في طلب العلم، في رجب سنة أربع وثانين ومائة (184هـ)، وأخذ علم عن رجال المدينة والكوفة والبصرة وغيرهم.

---

[1]- أبو العرب، المصدر السابق، ص 350.

[2]- القاضي عياض، مصدر نفسه، ج3، ص 101.

[3]- قاسم علي سعد، مرجع سابق، ص 128.

[4]- المالكي، مصدر سابقن ج1، ص 376-377.

[5]- القاضي عياض، مصدر سابق، ج4، ص 93-94.

ومن شيوخه :ابن الجراح، والفضل بن عياض، وعلي بن مهدي، وأبا معاوية الضرير، وابن القاسم وغيرهم.

كما أخذ عنه سحنون وابن وضاح وأحمد بن يزيد القرشي وعامة أهل إفريقيا.

وقد فقد بصره بعد قدومه من المشرق بيسير.[1]

وامتحنه ابن أبي جواد في خلق القرآن، فقال له موسى في مسألة خلق القرآن:" سمعت فلان وفلانا . وذكر جماعة من أهل العلم يقولون: من قال القرآن مخلوق فهو كافر، فقال له ابن الجواف لقد أعمى الله قلبك كما أعمى عينيك[2]."

واختلفت الروايات حول وفاته فقيل توفي يوم الاثنين الخامس من ذي القعدة، سنة خمس وعشرون ومائتين أو ست وعشرين ومائتين[3] .

ج- سحنون بن سعيد التنوخي (ت240هـ):

هو أبو سعيد سحنون بن سعيد بن حبيب بن حسان بن هلال بن بكار بن ربيعة التنوخي[4] الإفريقي القيرواني وحنون لقب له، راسمه عبد السلام أصله من حمص الشام وكان من الفقهاء والزهاد في القيروان واشتغل قاضيا[5].

ولد سنة 160 هـ ومن شيوخه البهلول بن راشد، وعلي بن زياد، وابن القاسم وابن وهب وأشهب وغيرهم[6].

---

[1]- أبو العرب، المصدر نفسه، ص 352.

[2]- القاضي عياض، المصدر نفسه، ج4، ص 96.

[3]- المالكي، مصدر سابق، ج1، ص 379.

[4]- المصدر نفسه، ص 345.

[5]- قاسم علي سعد، مرجع سابق، ص 504.

[6]- ابن قنفذ لقسنطيني، كتاب الوفيات، تح: عادل نويهض، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط4، 1403هـ/1983م،ص 174.

وأخذ عنه ابنه محمد وأصبح بن خليل، وحمديس وغيرهم، له المدونة والمختلطة ومختصر المناسك[1].

وكانت حلقة دروس سحنون تجذب عدد كبيرا من طلاب الأندلس والمشرق، وتخرج على يديه عدد ضخم من الفقهاء[2].

وامتحن سحنون في خلق القرآن من قبل أبي جعفر لما سأله فقال فيما يقول في القرآن، فأجابه سحنون أن القرآن كلام الله وليس بمخلوق، فقال له غبن جواد أن يقتله. وأما داود بن حمزة فقال لأبي جعفر أن قتله بالسيف راحة له، وراج أن ينادى عليه سماط القيروان لا يفتى ولا يسمع أحدا ويلزم داره[3].

وكذلك امتحن لما حضر جنازة وتعدم ابن أبي الجواد الذي كان يقول بمخلوق، فرجع سحنون ولم يصل خلفه، ولما يلغ ذلك الأمر للأمير زيادة الله، أمر أن يضرب سحنون خمسمائة سوط، ويحلق رأسه ولحيته.[4]

وتوفي سحنون سنة 240 هـ، من شهر رجب بالقيروان وصلى عليه الأمير محمد بن الأغلب.[5]

و- عبد الله بن طالب التميمي (ت275هـ):

هو عبد الله بن طالب بن سفيان بن سالم بن عقال ابن خفاجة التميمي، يكنى أبا العباس[6]، تفقه بسحنون وولي قضاء القيروان لابن الأغلب.[7]

---

[1]- قاسم علي سعد، المرجع نفسه، ص 504.

[2]- محمد زينهم، الإمام سحنون، دار الفرجاني، القاهرة، طرابلس، لندن، ص 189.

[3]- أبو العرب، مصدر سابق، ص 353-354.

[4]- القاضي عياض، مصدر سابق، ج4، ص 69-70.

[5]- ابن قنفذ القسنطيني، 174-175.

[6]- ابن فرحون المالكي، الديباج المذهب، مطبعة المدنية، 1972، ص 421.

[7]- ابن إسحاق الشبرازي، طبقات الفقهاء، المكتبة العربية، بغداد، 1356هـ، ص 4.

كان فقيها حريصا على المناظرة، ويجمع في مجلسه المختلفين في الفقه، ويقرأ بينهم لتظهر الفائدة.

وكان عادلا في قضائه، حازما في جميع أمره وورعا في حكمه، وله كتاب في رد على من خالق مالكا، وثلاثة أجزاء من أماليه، وتعرض بن طالب لمحنة العزل من قبل إبراهيم ين الأغلب بسبب ميول الناي لأبي طالب، ومحبتهم له لعدله، وحسن سيرته، فخشي إبراهيم على ملكه لكونه ابن عمه فأمر بعزله وإماتة اسمه[1].

وكانت محنته الثانية الكبرى في ولايته الثانية وكان سببها أنه نظر إلى ما شرعه إبراهيم بن الأغلب من الفسوق وإباحة السودان على نساء أهل أليانة، حين امتنعوا من بيعها منه.

وقد أتت امرأة بفرعة أنبتها في ثوب، خالفتها علي ابن طالب وقال لها هذا فعل الدهرية ومن لا يؤمن بالله واليوم الآخر ولما سمع إبراهيم كلامه حقد عليه، ثم عزله وحبسه، وولى عدوه ابن عبدون القضاء علي، الذي كان متعصبا على المتدينين، ومات ابن طالب بعد عزله بنحو شهر، سنة خمس وسبعين ومائتين وهو ابن الثمان وخمسين سنة[2].

ثالثا: أوضاع المغرب الإسلامي خلال القرن 3 للهجرة.

1- دخول المذهب الشيعي إلى بلاد المغرب الإسلامي:

بدأت جذور المذهب الشيعي بلاد المغرب الإسلامي مع الداعي الحلواني وأبو سفيان، وبعد أن ماتا أرسل ابن حوشب أبو عبد الله الشيعي، وقال له :"إن أرض كتامة من بلاد المغرب قد حرثها الحلواني وأبو سفيان، وقد ماتا وليس لها غيرك فبادر فإنها موطئة ممهدة لك[3]."

---

[1]- القاضي عياض، المصدر نفسهن ج4، ص 309-311.

[2]- القاضي عياض، مصدر سابق، ج4، ص 325-330.

[3]- محمد جمال الدين سرور، تاريخ الدولة الفاطمية، دار الفكر العربي، القاهرة، 1995، ض 22.

وغادر أبو عبد الله الشيعي بلاد اليمن مع إبراهيم بن إسحاق الزبيدي متجهين إلى مكة، وبعد أن انتهت مناسك الحج بدأ أبو عبد الله الشيعي يتقرب من حجج كتامة ويحدثهم، ونجح في هذا الأمر، وسأل حجاج كتامة أبو عبد الله الشيعي عن وجهته فأجابهم أنه ذاهب لمصر من أجل التعليم.

ثم رافقهم وفي طريقهم أقنع الكتاميون أبي عبد الله على أن يرافقهم إلى بلدهم[1] .

وبسبب الظلم الذي مارسته دولة الأغالبة على الناس وحاجتهم للعدل رأو في عبد الله المخلص وبدأ الصدام مع الأغالبة، واعتمد على فضح الأغالبة ومشر ظلمهم وبيان أن حكمهم خارج عن الإسلام والشريعة، وأظهر أبو عبد الله الشجاعة والمقدرة السياسية والكفاءة العسكرية مما جعله ثقة لمن حوله من القادة والجنود، وكشف عن دعوته بأن يدعو للرضى من آل البيت النبوي الذي سيظهر عن قريب وتولى أمر الحكم.

واستطاع عبد الله الشيعي أن يستولي على عاصمة الأغالبة –القيروان– سنة 296هـ، وأعلن بعد هذا النصر على الأغالبة أن الإمام الحقيقي للمسلمين هو عبيد الله المهدي وأنه قريبا سيصل إلى بلاد المغرب ويظهر العدل والمساواة[2] .

2– عبيد الله المهدي وقيام الدولة العبيدية:

أرسل عبد الله الشيعي إلى المهدي رجالا من كتامة إلى سلمية يجبرونه بما فتح الله عليه ويستخدمونه فاستجاب لذلك، ووصل هو وابنه أبو القاسم إلى سجلمائة ومهمتهم سجنه وكان أبو العباس– أخو عبد الله الشيعي– مع المهدي وذهب إلى أخاه وأخبره بما حدث للإمام، فجهز جيوشه وتوجه إلى سجلماتة، وهز المغرب كله وأخافه، ووصل إلى سجلمائة

[1]–علي حسن الخربوطلي، أبو عبد الله الشيعي، مؤسسة الدولة الفاطمية، الطبعة الفنية الحديثة، 1972، ص 6–13.

[2]–علي محمد محمد الصلاحي، الصراع بين أهل السنة والرافضة، نشر صفحات المطوية من تاريخ الدولة العبيدية الفاطمية، مكتبة الصحابة، الإمارات، دار التابعين القاهرة، ص 42–43.

سنة 296هـ، وخلص المهدي وابنه من محبسهما. وأعلنه خليفة للدولة العبيدية سنة 297هـ.[1]

وشاءت الأقدار أن تكون نهاية حياة أبي عبد الله الشيعي على يد الإمام عبد الله المهدي، لقد منح أبو عبد الله الحياة للدولة الفاطمية ولكنه فقد حياته[2].

بعد وفاة عبيد الله المهدي سنة 322هـ، تولى الخلافة بعده ابنه القاسم وفي عهده ثار عليه ابن طالون القرشي بطرابلس وزعم أنه ابن المهدي، ولما ظهر للبربر كذبه قتلوه.

كما قامت ثورة أبي يزيد مخلد بن كيداد واتخذ أبو زيد تهرت محلا لإقامته وصار يعلم الصبيان القرآن ومذاهب الخوارج وقد عرف أبو يزيد بعدائه للشيعة، فصار يدعو الناس للخوارج على الخليفة الفاطمي، وتم القضاء على ثورة أبي يزيد في عهد المنصور الفاطمي[3].

كما قامت ثورة مبكرة ضد العبيد بين أهل طرابلس غير داعيين في الحكم العبيدي إلا أنهم خضعوا له بقوة السلاح وكتب التاريخ تؤكد على دور علماء أو فقهاء وجهودهم في مواجهة الفكر الشيعي.[4]

نماذج من أعلام المالكية الذين امتحنوا في عهد الدولة العبيدية:

أ- محمد بن محمد سحنون(ت307هـ):

هو أبو سعيد محمد بن محمد بن سحنون بن سعيد التنوخي الإفريقي القيرواني، ولد في العام الذب توفي فيه أبوه محمد سنة ست وخمسين ومئتين[5].

كان محمد عابدا، لم يسمع من أبيه، وسمع من رجال جده[1].

---

[1]- عبد الله محمد جمال الدين، الدولة الفاطمية قيامها ببلاد المغرب وانتحالها إلى مصر، دار الثقافة، القاهرة، 1411هـ، ص 48-49.

[2]- علي حسني الخربوطلي، المرجع نفسه، ص 58.

[3]- محمد جمال الدين، سرور، المرجع نفسه ص 29-31.

[4]- علي محمد محمد الصلاحي، المرجع نفسه، ص58.

[5]- قاسم علي سعد، المرجع السابق، ص 1190-1191.

وامتحن على يد المروزي قاضي الشيعة، وقال له: بلغني عنك أشياء أقل ما يجب فيها سفك الدماء فاشتغل بما يغنيك وأمر غلامه فقنعه أسواطا[2].

وتوفي سنة سبع وثلاث مئة ويقال: ثمان وقبل مئة سنة[3] .

ب- أحمد بن نصر الهواري (ت17هـ):

هو أبو جعفر أحمد بن نصر بن زياد الهواري، الفقيه، أخذ عن ابن عبدوس، وابن سحنون، ويحيى بن عمر، وغيرهم، وسمع منه لن حارث، وأحمد بن حازم... [4]، وكان أحمد بن نصر فقيها صالحا، وكان من الحفاظ المعدودين، لايدانية في ذلك أحد في زمانه وولد سنة ست أو خمس وثلاثين ومئتين[5].

وامتحن أحمد بن نصر، على يد إسحاق بن أبي المنهال، من قضاة أهل العراق، وكان أحمد بن نصر ينبه على خطئه، وكان رجل سوء، امتحن على يديه جماعة من الصالحين والعلماء فضرب بعضهم وحبس آخرين.

فحبس ابن نصر تسعة أشهر بسبب اجتماع الناس إليه وفتواه بالمذهب.

وتوفي رحمه الله في ربيع الآخر سنة سبع عشرة وثلاثمائة.[6]

ج- محمد بن محمد الطرزي (ت317هـ):

هو أبا القاسم محمد بن محمد بن خالد، ويعرف بالطرزي سمع من ابن سحنون، وولي فضاء صقلية في آخر دولة بني الأغلب، وكان صارما منفذا محمود في أموره، وكان يمتحن على يد المروزي "قاضي الشيعة" ضربه في الجامع على رأس الناس وحبسه، وعذبه ثم قتله.

---

[1]- المالكي، ج4، مصدر سابق، ص 153.

[2]- القاضي عياض، مصدر سابق، ج5، ص 108-109.

[3]- قاسم علي سعد، المرجع نفسه، ص 1191.

[4]- المرجع نفسه، ص 290.

[5]- المالكي، ج2، المصدر السابق، ص 183.

[6]- القاضي عياض، مصدر سابق، ج5، ص 9697.

وتوفي الطرزي في سنة سبع عشرة وثلاثمائة[1].

د- أحمد بن أحمد بن زياد الفارسي (ت19هـ):

هو أبو جعفر أحمد بن أحمد بن زياد الفارسي كان فقيها وشاعرا، ولد سنة أربع وثلاثين ومئتين.

صحب ابن عبدوس وابن سلام ومحمد بن تميم القفصي وغيرهم وسمع منه ابن حارث وأحمد بن حزم وأبو العرب وغيرهم.[2]

وله كتاب في أحكام القرآن وأيضا كتاب حسن في مواقيت الصلاة وكان بصيرا باللغة العربية وبليغ القلم[3].

فأرسل فيه إسحاق فحبسه ثلاثة أيام.

وتوفي ابن زياد سنة تسع عشرة وثلاثمائة[4] .

هـ- محمد بن محمد بن اللباد(ت333هـ):

هو أبو بكر محمد بن محمد بن وشاح المعروف بابن اللباد كان من الحفاظ المعدودين والفقهاء المبرزين[5].

صحي يحيى بن عمر وأخذ عن عبد الله بن طالب، وحمد بن القطان وغيرهما.

وتفقه به أبو محمد بن أبي زيد الحارث وروى عنه فراس ين إسماعيل وغيره.

---

[1]- المصدر نفسه، ص 103-105.

[2]-قاسم علي سعد، مرجع سابق، ص 186-187.

[3]- أبي العرب محمد بن محمد بن تميم التميمي، كتاب تطبيقات علماء إفريقيا، ص 198,

[4]- القاضي عياض، مصدر سابق، ج5، ص 113-114.

[5]- المالكي، مصدر سابق، ج2، ص 283.

ألف كتاب الطهارة وأيضا إثبات الحجة في بيان العصمة وأيضا فضائل مالك لبن أنس، وغيرها[1].

وسجنه ابن أبي المنهال وكان أصل محنته هي أنه ابن رجليه واستدبر القبلة ولم يصلي وراءه.

فأقام مسجونا حتى ذهب محمد ابن أخيه إلى المهدية فأخبر بذلك البغدادي، وكان يحبه فسعى له عند عبيد الله في أمره أن يكتب إلى ابن أبي المنهال بإخراجه من السجن على ألا يفني ولا يجتمع إليه الناس، ولا يفتي إلا بمذهب السلطان.

وامتحن أيضا على يد التاهرتي، طلبه بوديعة فقال له لا أعرف ما تقول ولا أودعني هذا الرجل شيئا ولا أعرف من هو، ولا رأيت هذا العدد قط، إلا على مائدة فدعا أعوانه فأخذوه وبطحوه على وجهه، وجلس أحدهم على أكتافه والآخر على رجليه، وضربوه ثلاث عصى.

وتوفي في منتصف صفر، يوم السبت، سنة ثلاث وثلاثون وثلاثمائة قبل دخول أبي يزيد القيروان بخمسة أيام[2].

[1]- قاسم علي سعيد، مرجع سابق، ص 1194.

[2]- القاضي عياض، ج5، مصدر سابق ص 292-293.

الفصل الثاني: نماذج من محن فلاسفة الأندلس

تمهيد

أولا: مكانة الفلسفة في بلاد الأندلس (138-6-9هـ)

1- العهد الأموي

2- عهد ملوك الطوائف

ثانيا: نماذج من فلاسفة الأندلس

1- الفيلسوف ابن السيد البطليوسي أنموذجا

2- الفيلسوف ابن طفيل أنموذجا

3- فلاسفة آخرون

ثالثا: فلاسفة امتحنوا في بلاد الأندلس

1 -ابن مسرة القرطبي (269-319هـ)

2- عبد الرحمان بن إسماعيل (ا441هـ- 1050م)

3- سعيد بن فتحون (ت444هـ- 1052م)

4- ابن باجة (477هـ-533هـ)

5- ابن رشد (520-595هـ)

الفصل الثاني: نماذج من محن فلاسفة الأندلس

الفصل الثاني: نماذج من محن فلاسفة الأندلس.

تمهيد

أولا: مكانة الفلسفة في بلاد الأندلس (138-609هـ).

1- العهد الأموي.

2- عهد ملوك الطوائف.

3- عهد المرابطين الموحدين.

ثانيا: نماذج من فلاسفة الأندلس.

1- **الفيلسوف ابن السيد البطيلوسي أنموذجا**

2- الفيلسوف ابن طفيل أنموذجا.

3- **فلاسفة آخرون.**

ثالثا: فلاسفة امتحنوا في بلاد الأندلس.

1- ابن مسرة القرطبي (269-319هـ).

2- عبد الرحمان بن إسماعيل (4410-1050م).

3- سعيد بن فتحون (ت444هـ-1052).

4- ابن باجة (477هـ-533هـ)

5- ابن رشد(520-595هـ).

الفصل الثاني: نماذج من محن فلاسفة الأندلس

تمهيد:

عرفت بلاد الأندلس، منذ الفتح الإسلامي، تفاعلاً حضارياً وفكرياً واسعاً جعلها إحدى أهم مراكز الإشعاع الثقافي في العالم الإسلامي، وخاصة خلال العهد الأموي ومرحلة ملوك الطوائف. وفي هذا السياق، شهدت الأندلس دخول الفلسفة وازدهارها، خصوصاً مع انتقال التراث اليوناني إلى البيئة الإسلامية عبر الترجمة والشرح والتعليق، ما أتاح للفلاسفة الأندلسيين مجالاً واسعاً للتفكير في قضايا الوجود والمعرفة والشرع والعقل. غير أن هذا المسار لم يكن سلساً، إذ اصطدم كثير من الفلاسفة برجال الدين التقليديين أو بالسلطة السياسية، خاصة حين بدا أن الطرح الفلسفي يمسّ بعض المسلمات العقدية أو يفتح المجال للتأويل العقلي على حساب النص الديني.

يروم هذا الفصل تسليط الضوء على أبرز محن الفلاسفة في بلاد الأندلس، من خلال ثلاث محطات أساسية. يبدأ المحور الأول بتتبع كيفية دخول الفكر الفلسفي إلى الأندلس، وتبيان السياق العلمي والثقافي الذي سمح بنشأة هذا التيار وتطوره. ثم ينتقل إلى المحور الثاني، الذي يعالج محن الفلاسفة خلال العهد الأموي، حيث عانى بعض المفكرين من الرفض أو العزل أو حتى الإدانة، بسبب آرائهم الفلسفية. ويُختم الفصل بالمحور الثالث، الذي يرصد المحن خلال عهد ملوك الطوائف، وهي فترة تميزت بتعدد القوى السياسية وتفاوت مواقفها من الفلسفة، بين التشجيع والتضييق، ما انعكس بوضوح على مصير الفلاسفة ومكانتهم.

تكشف هذه النماذج عن الوجه الآخر لتاريخ الفكر في الأندلس، حيث كانت الحرية الفكرية مشروطة بإرادة السلطة وتوجهات المجتمع، وكان الفيلسوف معرضاً للمساءلة بل للمحنة، كلما تجاوز الخطوط الحمراء التي ترسمها السياسة أو العقيدة الرسمية.

الفصل الثاني: نماذج من محن فلاسفة الأندلس

تمهيد:

شهدت الأندلس منذ فتحها سنة 92 هـ عدة عهود وهي:

أولا: عهد الفتح:

الذي استمر حوالي أربعة سنوات منذ معركة وادي لكة سنة 92هـ/711م إلى غاية 95هـ/714م.

ثانيا عهد الولاة:

(95-138هـ)/(714-755م)، وينتهي هذا العصر بدخول عبد الرحمان بن معاوية للأندلس، حيث دام هذا العصر 42 سنة، وتداول على ولايته 20 واليا.

ثالثا: عصر الإمارة:

(138-310هـ/755-929م)، وبدأ هذا العصر بقدوم عبد الرحمان بن معاوية للأندلس، وينتهي بإعلان عبد الرحمان الناصر للخلافة الأموية في الأندلس سنة 310هـ، ودام عهد الغمارة 78 سنة.

رابعا: عصر الخلافة:

قامت الخلافة الأموية في الأندلس سنة 316هـ إلى غاية 422هـ، حيث شهدت نهاية الدولة الأموية بالأندلس قيام الحاجبة العامرية، حيث صارت الدولة في يد صاحبي الدولة الحاجب المنصور بن أبي عامر، وبعدها إلى ولديه من يعده المظفر ثم سنجول.

خامسا: عصر ملوك الطوائف

(442-497/1031-1086م): حيث شهد هذا العصر قيام دول طائفية ضعيفة متنازعة ومتناحرة فيما بينهم.

سادسا: عصر الهيمنة المغربية:

الفصل الثاني: نماذج من محن فلاسفة الأندلس

*المرابطين: 479-541/1086-1146م

*الموحدين 541-609هـ/1146-1212م

حيث انتهى هذا العصر بعد هزيمة الموحدين في معركة عقاب، أما الجيوش النصرانية المتحالفة .

سابعا: مملكة غرناطة أو عصر بني نصر أو بني الأحمر:

وهو آخر عصر إسلامي في الأندلس ويمتد من 1231إلى سنة 1492هـ[1] .

أولا: مكانة الفلسفة في بلاد الأندلس (138-609هـ).

1- العهد الأموي:

تعرف الفلسفة على أنها العلم الذي يقوم على التأمل والتفكير والبحث في الحقائق وتحليلها وتفسيرها، والنظر في مسائل الكون والوجود والعدم...، والنظر في هذه المسائل تقحم النفس في الضلال والانحراف، وهذا الأمر جعل الفلسفة مفهومة في نظر الأندلسيين، حيث وصف كل من يقرأ الفلسفة باسم زنديق[2].

لم تشهد الأندلس في عصر الإمارة نشاطا ملحوظا في ميدان الفلسفة إلا في عهد عبد الرحمان الأوسط الذي كان مهتما بالعلم وجمع الكتب ومنها الفلسفة، وكان يبعث في اقتنائها من خارج الأندلس وينسب إليه أول من أدخل الفلسفة إلى الأندلس[3].

كما أن الأندلسيين كانوا ينظرون إلى الفلسفة نظرة الكراهية، إضافة إلى تشبث فقهاء المالكية بأحكام الشريعة ومحاربة ومهاجمة أصحاب علم الكلام والمذاهب الأخرى[1].

---

[1]- عمر بوخاري، محاضرات في التاريخ السياسي للأندلس، جامعة ابن خلدون، 2021-2022، ص 2-4.

[2]- معالي محمد علي ياسين، الأوضاع العلمية في الأندلس من خلال عصر الإمارة الأموية وعلاقتها مع بلاد المغرب والمشرق، رسالة ماجستير، جامعة النجاح الوطنية، فلسطين، 2017م، ص 160.

[3]- سعد عبد الله صالح البشري، الحياة العلمية في عصر الخلافة في الأندلس (316هـ-422هـ/928م 1030م)، مكتبة الملك فهم الوطنية، 1417-1997م، ص 306.

وعلى الرغم من التضييق على الفلسفة في الأندلس وجدت أتباعا ودارسين لها[2].

وقد عاش في عصر الإمارة الفيلسوف محمد بن عبد الله بن مسرة، ويعتبر أول من نسب إليه الأغالب بالفلسفة، حيث كانت له آراء فلسفية بث أفكارها بين تلاميذه[3].

شهدت فترة الحجابة العامرية تراجع لنشاط الفلاسفة بسبب إخراق وإفساد كتب الفلسفة وتضيق على الفلاسفة.

كما أن الكثير منهم من هاجر أو اشتغل بعلوم أخرى حيث لم يعد نشاط الفلسفة إلى بعد نهاية الخلافة الأموية بالأندلس[4].

2-عهد ملوك الطوائف:

لم تلق الفلسفة غاية من طرف الخلفاء الأمويين ونبذها من طرف الحجابة العامرية، حيث اعتبروا من يشتغل بها زنديقا وخاصة أنهم كانوا على المذهب المالكي[5]، غير أن ذلك لم يدم طويلا فإن مع فترة ملوك الطوائف تراجعت الرقابة على المهتمين بالفلسفة[6].

كما نجد بعض ملوك الطوائف من اهتم بالفلسفة كالملك المقتدر بن هود بسرقسطة وابنه الأمير يوسف المؤتمن حيث قرب الفلاسفة له بسرقسطة[7].

---

[1]- المقري التلمساني، نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تح: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ج1، 1388هـ-1968م.

[2]- سعد عبد الله صالح، المرجع نفسه، ص 308.

[3]- ابن القرضي، تاريخ علماء الأندلس، الدار المصرية للتأليف والترجمة، مطابع سجل العرب 1966م، القاهرة، ج3، ص 39.

[4]- زكريا هاشم، فضل الحضارة الإسلامية العربية على العالم، راجع هذا الكتاب، محمد أحمد المهدي، دار النهضة، مصر، القاهرة، ص 556.

[5]- المراكشي عبد الواحد، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تح: محمد العريان، مطابع شركة الإعلانات الشرقية، القاهرة، 1983هـ، ص 310.

[6]- الطليطلي الأندلسي، طبقات الأمم، المطبعة الكاتوليكية، بيروت، ص 90.

[7]- المرجع نفسه، ص 116.

كما نجد إسهامات جيدة في دراسات الفلسفة في عصر ملوك الطوائف منها إسهام ابن السيد البطليوسي في تصنيفه لكتاب الحدائق[1].

إضافة إلى ذلك ساهم أهل الذمة في ميدان الفلسفة كالفيلسوف إسحاق بن قسطار، الذي عرف ببراعته في الطب وعلم المنطق والفلسفة، وأيضا الفيلسوف سليمان بن يحيى المعروف بابن جبرول السرقسطي[2] كما يعتبر البطليوسي الفيلسوف أبو الحكم عمرو بن أحمد الكرماني أول من أدخل وسائل إخوان الصفا، وزاد من نشاط الفلسفة في هذا العصر[3].

العصر[3].

3- عصر المرابطين والموحدين:

شهد عصر المرابطين مصنفات ألفت في الفلسفة والمنطق حيث وجد بعض الفلاسفة في البلاد المرابطي مثل: أبو بكر محمد بن الصانع المعروف بابن باجة.[4] وأيضا أبا الوليد الوقشي قاضي دانية حيث كان بارعا في الفلسفة[5] حيث أرجع الباحث في كتابه، إن الحكم المرابطي قد جنى بأساليبه الرجعية على سير الحركة الفكرية الأندلسية، وعاقها على التقدم والازدهار، وكل ما يمكن أن يقال في ذلك هو أن ما اتخذه المرابطون من إجراءات للحجز على الدراسات الكلامية والشرعية والفلسفية[6].

أما في العهد الموحدي كانت بلاد الموحدين تعج بالفلاسفة وهذا بسبب دعم الخلفاء الموحدين لهذا العلم.

---

[1]- بالنثيا أنخل، تاريخ الفكر الأندلسي، تر: حسين مؤنس، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ص 334.

[2]- المرجع نفسه، ص 339.

[3]- صاعد الطليطلي الأندلسي، مصدر سابق، ص 71.

[4]- طهير عبد الكريم، إسهامات بلاد المغرب في الحياة العلمية الأندلسية في العصر المرابطي (448-541هـ/1056-1147م)، مجلة القرطاس، ع3، جانفي 2017، ص 166.

[5]- عنان محمد عبد الله، دولة الإسلام في الأندلس، جزء المرابطين، ج4، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1997م، ص 471,

[6]- مرجع سابق، ص 474.

كما أن الخليفة كان يوسف بن عبد الله كان يدرس الفلسفة[1].

ومن أشهر فلاسفة الموحدين:

- أبو بكر محمد عبد الله بن طفيل القيسي (ت581هـ).[2]
- أبو الوليد بن رشد الحفيد (ت59هـ).[3]

[1]– طهير عبد الكريم، مرجع سابق، ص 167.

[2]– المراكشي عبد الواحد، مصدر سابق، ص 72.

[3]– المصدر نفسه، ص 142.

ثانيا: نماذج من فلاسفة الأندلس :

1- الفيلسوف ابن السيد البطليوسي أنموذجا:

هو أبو محمد عبد الله بن محمد بن السيد من مدينة بطليوس ولد سنة 444هـ[1] . وينسب ابن السيد إلى مدينة بطليوس لمولده بها التي كانت عاصمة بني الأفطس في عهد ملوك الطوائف أما أسرته فهي من شتلب غرب الأندلس.

واشتغل أخوه علي بن محمد المعروف بالخطان بالعلوم العربية .

وعاصر ابن السيد دول الطوائف في الشطر الأكبر من حياته، وتنقل بين دويلاتهم، ثم استقر خلال حكم المرابطين.[2]

ومن شيوخه: أخوه علي بن محمد السيد البطليوسي.

- أبو علي الغساني
- أبو الفضل الحزمي البغدادي.

ومن تلاميذه: عبد الملك بن محمد القدسي، وابن بشكوان وابن بسام[3]...

وقد تعددت جوانب المعرفة عند ابن السيد فألف مؤلفات قيمة في اللغة والنحو والقراءات والأدب والفلسفة، ويعد كتابه "الحدائق" أول محاولة للتوفيق بين الشريعة الإسلامية والفكر اليوناني[4].

---

[1]- ابن فرحون المالكي، مصدر سابق، ص 441.

[2]- ابن السيد البطلبوسي، المثلث، القسم الأول، تح: صلاح مهدي الفرطوسي، دار الرشيد، 1981، ص 12.

[3]- حسين عبد الرحمان علقم، الجوانب الفلسفية في كتابات ابن السد البطليوسي، دار البشير، عمان، ط1، 1408هـ-1988م، ص 26-28.

[4]- مرجع سابق، ص 30.

وتوفي ابن السيد في منتصف رجب من عام 521هـ في مدينة بولونسيا، وبذلك عاش سبعة وسبعين عاما حافلة بالنشاط العلمي[1].

2-ابن طفيل (ت581هـ) أنموذجا:

هو أبو بكر محمد ابن طفيل القيسي، ولد في مدينة" بلنسية" الأندلسية الغنية بالأشجار والينابيع والكهوف، تتلمذ على يد أبي محمد الرشاطي وعبد الحق بن عطيه، وأخذ الفلسفة من عند ابن الصنائع المعروف بابن باجة، حيث صرح في كتبه حي بن يقظان أنه قرأ كتبه دون أن يلتقي به[2].

فابن طفيل كان بارعا في جميع العلوم والفنون وبارعا في الفلسفة والطب، ويعد من كبار فلاسفة الأندلس، وكان طبيبا في غرناطة وكذلك عكل كاتب لبعض الأمراء ثم أصبح طبيبا لخليفة الموحدي المنصور[3].

وهو من حفز ابن رشد بتلخيص كتب أرسطو وشرحها تحقيقا لرغبة ابن يعقوب[4].

وله العديد من الكتب والمصنفات في الطبن وكتب تتحدث في الفلسفة في الإسلام، وقد مدح فيها من سبقه من الفلاسفة كابن سينا ابن باجة الغزالي ابن باجة الفرابي وأسامة الفلسفي لرسالة حي بن يقظان هو الطريق الذي كان عليه فلاسفة المسلمين.[5] وتوفي ابن طفيل بعد وفاة ابن يعقوب بسنة واحدة في مراكش (581هـ/1106م).

---

[1]- صاحب أبو جناح، مرجع سابق، ص 83.

[2]- فاطمة مفلح العبدالات، (ابن طفيل بين أحياء الفلسفة وريادة الرواية الرمزية)، المجلة الأكاديمية للأبحاث، ع46، 5-02-2023، ص 186.

[3]- الفقهي عبد الرؤوف، تاريخ الفقه الأندلسي، دار الفكر العربي، القاهرة، 1977م، ط1، ص 278.

[4]- حسن عبد الرحمان علقم، المرجع نفسه، ص 10-11.

[5]- الفقهي عبد الرزوق، مرجع سابق، ص 278.

3- فلاسفة آخرون:

*إسحاق بن عمران المعروف باسم ساعة.

*عبد الرحمان بن إسماعيل بن زياد المعروف بالإقليدي.

*أبو عثمان سعيد بن فتحون بن مكرم السرقسطي.

*ابن السمينة.

*أبو القاسم مسلمة بن أحمد المجريطي

*ابن الجلاب الحسن بن عبد الرحمان.

*ابن الوقشي ابن النباس، أبو الوليد هشام بن أحمد بن خالد الكتاني.

*محمد بن عبدون الجبلي العذري.

*ابن النباس أبو عبد الله محمد بن عبد الكيفاني[1].

ثالثا: فلاسفة امتحنوا في بلاد الأندلس:

1- ابن مسرة القرطبي (269-319):

أ- التعريف به:

هو محمد بن عبد الله بن مسرة بن نجيح القرطبي، ولد سنة 269هـ/883م في قرطبة، وكان والده تاجرا، حيث تعلم من ولده علوم الدين على طريقة المعتزلة، بل تنطوي عليه من عناصر فلسفية، وتوفي والده سنة 286هـ[1].

[1]- حسن عبد الرحمان علقم، مرجع نفسه، ص 58-60.

الفصل الثاني: نماذج من محن فلاسفة الأندلس

حيث يعتبر ابن مسرة القرطبي أول من نسبه إليه الاشتغال بالفلسفة في الأندلس، وكانت له آراء فلسفية وطريقته انتهجها في بث أفكاره وأقواله بين تلاميذه.

حيث اتهم ابن مسرة بالزندقة والخروج عن الدين بسبب أفكاره[2]، فخرج هاربا من الأندلس إلى المشرق وفي صحبته اثنان من تلاميذه هما محمد بن حزم بن بكر التنوخي، المعروف بابن المديني، وابن صقيل محمد بن وهب القرطبي[3]، ليعود إلى الأندلس في عهد عبد الرحمان الناصر، والتزم الحذر وعاد إلى الاعتزال في صومعة بجبال قرطبة حيث لم يفصح عن رأي مذهبه إلا لعدد ضئيل من تلاميذه، وذلك على شكل إشارات ورموز، وآمنوا بما كان يردده من آراء تتصل بالاعتزال والفلسفة، والتصوف، حيث اعتبر كل من ساعد ابن مسرة فيلسوف باطني، وقيل أن أصول المذهب الفلسفي لابن مسرة تدور حول المذهب الأنبيس قديسي نسبة إلى أميذقلس أقدم الفلاسفة الخمسة الكبار في اليونان وهم أميذقلس، فيثاغورس، سقراط، أفلاطون، أرسطو[4].

ومن أهم الآراء التي نسبت إلى ابن مسرة والتي تشكل بنائه الفلسفي هي:

* أفضلية الفلسفة وعلم النفس وباطنيتها.

* وصف الكائن الأول بالبساطة المطلقة وبعدم قابليته لأن يحد يوصف رتابة سكونه في حركة نظرية الفضاء.

* مقولات النفس.

* الأنفس الفردية المنبثقة عن نفس العالم[5] .

---

[1]– كامل محمد محمد عويصة، الفيلسوف الزاهد، دار الكتب، بيروت، 1414هـ–1993م، ص 21.

[2]–سعد عبد الله صال البشري، مرجع سابق، ص 31.

[3]– نصيرة طيطح، ابن مسرة الأندلسي، إشكالية العقيدة والسلطة، مجلة مقاربات فلسفية، مج 2، ع 1، 2021، ص 288.

[4]– معالي محمد علي ياسيني، مرجع سابق، ص 103.

[5]– كامل محمد محمد عويضة، مرجع سابق، ص 23–24.

خلّف ابن مسرة ستة مصنفات هي:

1- كتاب خواص الحروف.

2- رسالة الاعتبار

3- اختصار مدونة مالك

4- توحيد الموقنين.

5- كتاب التبيين.

6- كتاب الغريب المنتقى من كلام أهل التقى من بين هذه المؤلفات السنة، مؤلفات نقط " كتاب خواص الحروف ورسالة الاعتبار" المعروفين فقط[1].

ب- محنته:

ففي عهد الإمارة الأموية اتهم ابن مسرة بالزندقة والإلحاد في عهد الأمير عبد الله بن محمد، حيث تمت مطاردتهم وأتباعه مما جعله يغادر الأندلس نحو المشرق، وبعدها في عصر الخلافة الأموية عاد ابن مسرة وواصل نشاطه إلى أن توفي سنة (319هـ/ 932م) واستمر أتباعه بنشر أفكاره، وبعد وفاة خليفة الحكم سنة (360هـ/976 م).

قام الفقهاء بمطاردة أتباع ابن مسرة وقاموا بمطابة بحظر قراءة كتب ابن مسرة وحرقها، كما قام الفقهاء بتأليف كتب للرد على أفكار فلسفة ابن مسرة[2].

وفي عهد الحجابة العامرية قاموا بالتضييق عن المسربين حيث تم حرق كتبه جانب مسجد الجامع [3].

[1]- نصيرة طبطح، مرجع سابق، ص 288-289.

[2]- مبارك محمد الطراونة، بلال راكان الهافري، حركة محمد بن مسرة ومذهبه الديني في الأندلس (269-318هـ/883-91م)، مجلة الدراسات الزرقاء للبحوث، مج 15، 2015 م، ص 176-177.

[3]- نصيرة طيطح، مرجع سابق، ص 294.

2- عبد الرحمان بن إسماعيل (ت441هـ/1050م):

أ- التعريف به:

هو عبد الرحمان بن إسماعيل بن زيد المعروف بابن الاقليدي، كان ماهرا في علمي الفلسفة والمنطق حاذقا فيهما[1].

ب- محنته:

بعد التضييق على الفلاسفة من قبل المنصور ابن أبي العامر اضطر خوفا على نفسه أن يرحل إلى المشرق الإسلامي[2].

3- سعيد بن فتحون(ت444هـ):

أ- التعريف به:

هو سعيد بن فتحون المعروف بالحمار السرقسطي (ت444هـ/1052م).[3]

كان له نشاط وأعرض ميدان الفلسفة والأدب وألف في الفلسفة كتابا أسماه شجرة الحكمة[4].

والجدير بالذكر أن هذا الفيلسوف كان له مكانة علمية رفيعة وإنتاج علمي نفيس استطاع به أن يحتل منزلة رفيعة بين علماء عصره حتى قال فيه ابن حزم (وأما الفلسفة

[1]- سعد عبد الله صالح البشري، مرجع سابق، ص 14.

[2]- صاعد الطليطي الأندلسي، المصدر السابق، ص 92.

[3]- صاعد الطليطلي الأندلسي، مصدر سابق، ص 90.

[4]- علي سليمان محمد، مرجع سابق، ص 260.

فإني رأيت فيها رسائل مجموعة وعيونا مؤلفة لسعيد بن فتحون السراقسطي المعروف بالحمار دالة على تمكنه على تمكنه من هذه الصنعة.[1]

ب- محنته:

فلما وقف المنصور موقفا معادي للفلسفة قام بسجن سعيد بن فتحون ثم نفي إلى صقلية ومات هناك سنة 44هـ/1052م[2].

4- ابن باجة (777هـ/533هـ):

أ- التعريف به: هو أبو بكر محمد بن يحيى الشهير بابن الصائغ وابن باجة.[3] ولد في سرقسطة بين 477هـ/1085 م و48هـ/1090م، في ذلك العصر كنت سرقسطة عاصمة إمارة بني هود، وفي سنة 503 هـ أصبحت تحت حكم المرابطين[4].

كان ابن باجة حافظا للقرآن وأديبا وشاعرا وموسيقار ويعتبر أول الفلاسفة الفعليين في الأندلس، وكان متأثرا لفلاسفة الشرق خاصة ما تعلق بالمنطق والطبيعة وما وراء الطبيعة[5] وقد حصل ابن باجة على شهرة كبيرة كمفكر بارز، يقول عنه تلميذه علي عبد العزيز ابن الإمام بأنه: " أعجوبة دهره ونادرة الفلك في زمانه"[6].

---

[1]- سعد عبد الله صالح البشري، مرجع سابق، ص 314.

[2]- أنور محمود زناتي، المجاهرون بالزندقة والمتهمون بها في الأندلس منذ عصر الإمارة الأموية (حتى سقوط دولة المرابطين)، منشورات جامعة عين شمس، ع3، يناير 2024، ص 391.

[3]- أبو بكر محمد بن باجة الأندلسي، كتاب النفس، تح: محمد الصغير المعصومي، دار صادر، بيروت، ط2، 1412-1992م، ص 9.

[4]- حسن العصومي، الفلسفة في الأندلس، ابن باجة وابن طفيل جوزيف بويج مونتادا أشرف منصور، 23 يناير 2024، ص 5.

[5]- أبو بكر محمد بن باجة الأندلسي، المصدر نفسه، ص 10.

[6]- شعبان عبد الحميد محمود عبد العال، أتنفس عند ابن باجة، 2015.

واستيعاب ابن باجة للفلسفة وتمكنه منها مما جعله ليس مجرد دارس أو شارح بل ناقد أيضا والناظر فيما خلق ابن باجة من شروح وتعليقات لهذه الشروح أهمية وقيمة فهو يطلع على ما كتبه الشراح على كتب أرسطو لكنه ينقد ما كتبه الشراح أحيانا في متناقضة أرسطو، لكنه ينقد ما كتبه الشراح أحيانا في متناقضة أرسطو على سبيل المثال فلقد وصف ما قاله يحيى النخوي في مناقضة أرسطو بأنه غلط فأحسن ومغالطة قبيحة وهو بذلك يجادل آراء أرسطو الحقيقية، ويعتبر ابن باجة الشارح الأول في الغرب الإسلامي[1].

ومن مؤلفات هذا الفيلسوف:

-تدبير المتوحد.

-كتاب النفس.

-رسالة الوداع.

-رسالة الوقوف على العقل الفعال.

-رسالة في الغاية الإنسانية.

-رسالة في اتصال العقل بالإنسان.

-رسالة ارتياض في تصور القوة المتخلية والناطقة.

-شرح الكتاب الطبيعة لأرسطو.

-كتاب الكون والفساد.

-كتاب الحيوان.

-ثلاث رسائل فلسفية.

[1]- أبو بكر محمد عويضة، ابن باجة الأندلسي، الفيلسوف الخلاف، المكتبة الإسلامية، بيروت، ط1، ص 102.

-رايساغوجي لفرنوريوس. [1]

ب- محنته ووفاته:

بعد أن حل بمدينة فاس وافدا على بلاد المرابطين، حتى وقع فريسة لدسائس أعدائه الكثيرين، من بينهم الطبيب ابن زهر، حيث أصبح في أواخر حياته فقيرا، إضافة إلى ذلك حيث لم يجد حوله من يشاطره أفكاره[2].

كما اتهموا ابن باجة بالخروج عن الدين واشتغاله بعلوم الأوائل وتركه القرآن والسنة والعلوم الدينية[3]. وفي سنة 53هـ/1132م، مات ابن باجة بسم الطبيب ابن زهر، وقد ألب أعداءه ومن بينهم الفتح بن خاقان. واتهموه بالإلحاد والخروج على القرآن والدين الإسلامي، ومات بمدينة فاس ودفن بها[4].

5- ابن رشد(520-595هـ):

أ- التعريف به:

هو محمد بن أحمد بن محمد بن رشد ويكنى بأبو الوليد، ولد سنة 520هـ، وقيل أنه ولد قبل وفاة جده بأشهر، حيث نشأ في بيت الفقهاء وقضاة وكان من أسرة مشهورة في الأندلس، ومن أصحاب المذهب المالكي[5].

---

[1]- محمد إبراهيم الفيومي، تاريخ الفلسفة الإسلامية في المغرب والأندلس، دار الجبل، ط1، 1997، ص 306.

[2]- كامل محمد محمد عويضة، مرجع سابق، ص 101.

[3]- محمد إبراهيم الفيومي، مرجع سابق، ص 306.

[4]- شعبان عبد الحميد محمود عبد العال، مرجع سابق، ص 7.

[5]- أبو الوليد محمد بن أحمد ابن رشد الأندلسي، تهافت التهافت، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2008، ص 3، تح: أحمد شمس الدين.

ويعد من أشهر فلاسفة الأندلس دون منازع وأعمقهم فكرا[1].

ويعتبر ابن رشد فيلسوف وطبيب وفقيه وقاضي وفلكي وفيزيائي عربي مسلم أندلسي، ودرس الفقه على المذهب المالكي والعقيدة على المذهب الأشعري، كما دافع عن الفلسفة وصحح للعلماء وفلاسفة سابقين له كابن سينار والفرابي فهم بعض نظريات أفلاطون وأرسطو[2].

واتصل بالبلاط الموحدي عن طريق أبو بكر بن طفيل الذي استدعاه من الأندلس إلى العاصمة الموحدية، حيث قام بشرح فلسفة أرسطو وبطلب من الخليفة الموحدي يوسف عبد المؤمن ومن العوامل التي أثرت كثيرا في حياة ابن رشد ومساره الفكري، فهي صلته بالخليفة أبي يعقوب بن يوسف ابن عبد المؤمن، ووالده بعده، وقد شجعته هذه الصلة على النظر الفلسفي[3]، حيث انكب على مؤلفات أرسطو وجالينوس تلخيصا أو شرحا بين ووجيز مطول وتلقب في مناصب إدارية مختلفة، فقد عينه الخليفة قاضيا لإشبيلية سنة 1169، ثم عين قاضيا في قرطبة، سنة 1171م[4]، ثم أصبح طبيب الخليفة وجليسه سنة 1182.

ومن شيوخ ابن رشد نذكر:

- أبا بكر سليمان الأنصاري.
- والده أبا القاسم أحمد.
- أبا القاسم خلق بن عبد الملك بن شكوال.

ومن تلاميذه نذكر:

- ابن الحجاج يوسف بن طملوس.

---

[1]– عبد الرحمان، ابن رشد الفيلسوف العالم، المنظمة التحليلية للتربية والثقافة والعلوم، بيروت، ط3، 2007م، ص 11.

[2]– أبو الوليد بن رشد الأندلسي، المصدر نفسه، ص 4.

[3]– عبد الحامد المراكشي، مصدر سبق، ص 242.

[4]–جيهان نور الدين محمد المقدم، ابن رشد والتنوير، دراسة عملية نقدية، جامعة الأزهر، ص 878.

- أبو عبد الله محمد بن سحنون الندرومي.
- القاضي أبو القاسم محمد بن أحمد بن عيسى بن إدريس التجيدي
- أبو القاسم محمد بن أحمد الأوسي القرطبي المكنة بابن الطيلسان[1]

وقد ترك ابن رشد العديد من المؤلفات في الفلسفة والفقه والطب...، من مؤلفاته نذكر منها:

- تهافت التهافت.
- رسالة في تركيب الإحرام.
- أربعة كتب في مسالة أهل العقل المادي.
- شرح آلام ابن باجة فب اتصال عقل المنفصل بالإنسان.
- كتابات الكون.
- الضروري في المنطق.
- المختصر في المنطق.
- مقدمة الفلسفة في اثنى عشر رسالة.
- شرح الفرابي وأرسطو في المنطق.
- بداية المجتهد ونهاية المقتصد.
- مختصر في المستصفى في أصول الفقه.
- الدعاوى الثلاثة.
- كتاب في تنبيه إلى أغلاط المتون.
- دروس في الفقه العربي.
- كتاب الخراج.
- كسب الحرام.
- كتاب الكليات في الطب.

[1]- عبد الرحمات التليلي، مرجع سابق، ص 14-15

- المقدمات في الفقه.
- كتاب التحصيل.
- شرح الأرجوزة المنسوبة إلى الشيخ الرئيس ابن سينا في الطب.
- مسألة في نوائب الحمى.
- مسائل في الحكمة.
- مقال في حركة الفلك[1].

ب- محنته:

من الأمور التي كان لها تأثير كبير في مجرى حياة ابن رشد اتصال بالخليفة أبي يعقوب يوسف أبي محمد عبد المؤمن بن علي القيسي الكوفي، وكان هذا الخليفة يجمع بين أمرين الفقه في الدين والورع والتقوى من ناحية، وطموحه إلى تعلم الحكمة والفلسفة من ناحية أخرى، وقام ابن طفيل بتقريب ابن رشد من الخليفة، وعند وفاة أبي يعقوب خلفه ابنه حيث قال ابن رشد عند خطوة كبيرة.[2] وبسبب هذه المكانة التي ارتقى إليه أبي رشد أثارت الغيرة والحسد من حوله جعلت الناقمين والحاسدين ترفع عليه مقالات للخليفة تحتوي على الطعن في دينه وعقيدته[3] حيث جاءت هذه المحنة في أواخر حياته باتهامه بالكفر والزندقة والإلحاد، فأمر الخليفة بإحراق كتبه ومنع تداولها وشمل هذا القرار جميع كتب الفلسفة باستثناء كتب الطب والحساب والفلك، كما نشر يعض الدراسات أنه حكم عليه بالنفي إلى قرية لا يسكنها غير اليهود[4]. وبعد فترة من هذه المحنة قام الخليفة برفع الحظر عن دراسة الفلسفة،

[1]- الوليد ابن رشد، المصدر السابق، ص 11-14.

[2]- كامل محمد محمد عويصة، ابن رشد الأندلسي فيلسوف العرب والمسلمين، دار الكتب العلمية، بيروت، 1413هـ-1991م، ص 27.

[3]- العبيدي حماد بن رشد الحفيد، حياته عمله فقهه، الدار العربية، 1984، ص 84.

[4]- فريد العليبي، محنة ابن رشد، محاكمة العقل، ملتقى حول محنة العلماء في الحضارة العربية الإسلامية، 7 نوفمبر 2017، ص 55-57.

واستدعى ابن رشد إلى بلاط الموحدين وتوفي بمراكش يوم 9 صفر 595 هـ/ الموافق ل10 ديسمبر 1198م ودفن بها.[1]

[1]– صاعد الطليطلي الأندلسي، مرجع سابق، ص 85.

الفصل الثالث: محن العلماء في العهد المرابطي والموحدي

أولا: أوجه القمع الفاطمي لعلماء المالكية.

ثانيا: مضايقة الموحدية لعلماء المالكية.

ثالثا: دور العلماء في بناء الحضارة وانهيارها.

الفصل الثالث: محن العلماء في العهد المرابطي والموحدي

تمهيد:

القمع والمضايقات ومآلات محن العلماء في المغرب مثّلت الدولة المرابطية والدولة الموحدية مرحلتين حاسمتين في تاريخ المغرب الإسلامي، وقد عرفتا توتراً متزايداً بين السلطة السياسية والعلماء، رغم أن كلتا الدولتين رفعتا شعار الإصلاح الديني والتمسك بالسنة. غير أن الواقع كشف عن تعارض في كثير من الأحيان بين الخطاب الرسمي للسلطة وبين مواقف العلماء المالكية، الذين شكلوا في بعض المحطات قوة ناقدة ومؤثرة في الرأي العام، الأمر الذي جرّ عليهم أشكالاً من القمع والتضييق.

يسعى هذا الفصل إلى تتبع أبرز أوجه القمع والمضايقات التي تعرض لها علماء المالكية في هاتين الحقبتين، مع التركيز على السياق السياسي والفكري الذي أفرز تلك المحن، وأثرها في بنية المجتمع والمذهب. فيتناول المحور الأول أوجه القمع المرابطي لعلماء المالكية، رغم كون المرابطين رفعوا راية الدفاع عن المذهب المالكي، إلا أن مواقف بعض العلماء، وخصوصاً في مسائل الاجتهاد أو العلاقة بالسلطة، جرّت عليهم الإقصاء أو النفي أو حتى السجن.

أما المحور الثاني، فيتطرق إلى مضايقة الموحدين لعلماء المالكية، حيث تبنّت الدولة الموحدية توجهاً عقدياً مخالفاً للمذهب المالكي، ما جعلها في صدام مباشر مع علمائه، وأدى إلى حملات اضطهاد عنيفة، تمثلت في عزل القضاة، وحرق الكتب، ومطاردة كبار الفقهاء الذين رفضوا الانخراط في المشروع الفكري الموحدي.

ويُختتم الفصل بالمحور الثالث، الذي يناقش دور محن العلماء في بناء الحضارة وانهيارها، مبرزاً كيف أن اضطهاد النخبة العلمية غالباً ما كان مقدمة لضعف فكري ومؤسساتي في الدولة، وأن المجتمعات التي قمعت علماءها دفعت ثمناً حضارياً باهظاً. فالمحنة لم تكن مجرد أزمة شخصية، بل كانت مؤشراً على خلل أعمق في العلاقة بين الفكر والسلطة، بين المشروع السياسي والمشروع العلمي.

وبذلك يُبرز هذا الفصل الأثر المزدوج للمحنة: فبالرغم من مرارتها، فقد كانت في كثير من الأحيان سبباً في تجديد الفكر، كما كانت في أحيان أخرى مؤشراً على بداية أفول حضاري شامل.

الفصل الثالث: محن العلماء في العهد المرابطي والموحدي

أولا: أوجه القمع الفاطمي لعلماء المالكية:

أ- الاضطهاد المعنوي لعلماء المالكية:

لقد استعمل الفاطميون كل الأساليب من أجل مواجهة خصومهم من علماء المالكية ورفع لواء مذهبهم، فعقدوا المناظرات وجلبوا أئمة كبار المالكية ورفع لواء مذهبهم، فعقدوا المناظرات وجلبوا أئمة كبار الأئمة بالقيروان أئمة كبار المالكية وأخذوا يناقشونهم الحجة، ويقارعونهم الرأي، واستعملوا أيضا سياسة التأثير بالمال فلم يؤثر ذلك شيئا على علماء المالكية.[1]

واستعملوا عدة أساليب منها:

- إصدار السلطة العبيدية أمرا صارما يمنع الفقهاء من الاقتداء بمذهب مالك وغيره، بل وألوم الرعية بمذهب: "جعفر الصادق فقط".[2]

- عمل العبيديون على إزالة آثار بعض ما تقدمهم من الخلفاء السنيين، لذلك أمر عبيد الله بإزالة أسماء الحكام الذين بنوا الحصون والمساجد وجعل اسمه بديلا منهم[3]

- أتلفوا مصنفات أهل السنة ومنعوا الناس من تداولها، كما فعلوا بكتب أبي محمد بن هاشم التيجيدي (ت346هـ) الذي توفي وترك العديد من الكتب كلها بخط يده، فوقعت إلى السلطان عبيد فأخذها، منع الناس منها كيدا في الإسلام وبغضا فيه.

[1]- الصلابي محمد علي، الدولة الفاطمية، مكتبة الحسن العصرية للطباعة، بيروت، 2009، ص 90-91..

[2]- مصطفى الوظيفي, كتاب في أصول التشريع الإسلامي دراسة في التناظر ابن حزم والباجي, ص15-56.الملحق (4).

[3]- الحسين بن أحمد شواط، مدرسة الحديث في القيروان من الفتح الإسلامي إلى منتصف القرن الخامس، الدار العالمية للكتاب الإسلامي، ج 1، 1411 هـ، ص 72.

– حرموا على الفقهاء الفتوى بمذهب الإمام مالك واعتبروا ذلك جريمة يعاقب عليها بالضرب والشتم أو القتل أحيانا، ويعتبر ذلك نوع من الإرهاب النفسي، حيث يدار بالمقتول أسواق القيروان وينادى عليه :"هذا جزاء من يذهب مذهب مالك".[1]

ولم يبيحوا الفتوى إلا من كان على مذهبهم، كما فعلوا بالفقيه المعروف بالهزلي "أبو عبد الله محمد بن العباس بن الوليد المتوفى عام329هـ".[2]

ب– جرائم الفاطميين ضد علماء المالكية:

عند نزول الفاطمبين العبيديين إفريقيا، ارتكبوا ابشع الجرائم على علماء المالكية ومحاربة المهب المالكي في منطقة المغرب الإسلامي، ولقد تعددت الجرائم والأساليب والطرق ونذكر منها:

– عندما ادعى على عبيد الله الرسالة، أحضر فقيهين من فقهاء القيروان وهو جالس على كرسي ملكه وأوعز إلى أحد خدمه فقال للشيخين أتشهد أن هذا رسول؟ فقالا بلفظ واحد: والله لو جاءنا هذا والشمس عن يمينه والقمر عن يساره ويقولان إنه رسول الله ما قلنا ذلك، فأمر بذبحهما، وهذان الشيخان المغربيات هنا هما: ابن هذيل وابن البردون".[3]

– حرص العبيديون على منع التجمعات خوفا من الثورة والخروج عليهم، ولذلك جعلوا بوقا يضربونه في أول الليل فمن وجد بعد ذلك ضرب عنقه، كما كانوا يفرقون الناس الذين يجتمعون على جنازة من بيوت من العلماء.[4]

---

[1]– ابن عذارى المراكشي أبو عباس بن أحمد بن محمد (ت95هـ)، إيمان المغرب في أخبار المغرب، مكتبة صادر، 1950، ج1، ص 184–185

[2]– الحسين بن أحمد شواط، المرجع السابق، ص 73.

[3]– الذهبي شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت748هن سير أعلاء النبلاء تح: مأمون الصوغاجي، مؤسسة الرسالة بيروت، 1981، ص 217.

[4]– أبو بكر المالكي، رياض النفوس في طبقات علماء إفريقيا وزهادهم وسير من أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم، تح: بشير بكوش، دار الغرب الإسلامي، ط2، 1994، ج2، ص 55–56.

– منعوا العلماء من التدريس في المساجد ونشر العلم والاجتماع بالطلبة وحبسوهم في بيوتهم، وكان من يأخذ عنهم ويتذاكر معهم إنما يكون حرا وعلى حال خوف وريبة.

– كان الموطأ وغيره من كتب السنة لا تقرأ إلا في البيوت، وكانت السنة تعرض بالقيروان سرا، وكان أبو محمد بن أبي زيد وأبو محمد بن التبان وغيرهما، يأتيان إلى أبي بكر بن اللباد شيخ السنة في القيروان في خطية، ويجعلان الكتب في أوساطها حتى تبتل بالعرق خوفا من بني عبيد.[1]

وكان العلماء أو بعض منهم يخرج إلى المقبرة، فيستتر بها ويقرأ على الطلبة خوفا من بني عبيد، لأنهم منعوا من بث العلم والفقه المالكي وسجنوا العلماء في دورهم.

ويعطينا أبو الحسن لقابسي رواية عن عدد من العلماء والفقهاء الذين نالتهم يد الشيعة، فيقول في ذلك "الذي قتلهم عبيد الله وبنوه بعدة أربعة آلاف رجل في دار النحر، سجن العبيديون بالمهدية في العذاب بين عابد وعالم ليردهم عن الترضي عن الصحابة، فاختاروا الموت" وهذا عن الذين كانوا يقتلون دون سجن ويمثل بهم في شوارع القيروان وفي ذلك قال الشاعر فهل الوراق:

أحل دار النحر في أغلاله من كان ذا تقوى وذا صلوات.[2]

ولقد بدأت محته أهل السنة وخاصة المالكية، بإصدار المهدي أوامره للقاضي المروذي بالتضييق عليهم، فنهبت رباطاتهم ومنعوا من الفتوى وكتابة الوثائق على مذهبهم، فقد أوقع بأبي بكر محمد بن اللباد الذي سجنه المهدي ومنعه من الفتوى بمذهب مالك والاجتماع بطلابه، فاضطر هذا الفقيه إلى تلقينهم في منزله خفية.[3]

---

[1]– ابن عذارى المراكشي، مرجع سابق، ص 189.

[2]– شمس الدين محمد الذهبي، العبر في النظر، تح: أبو مهاجر محمد بن سعيد، دار الكتب العلمية، بيروت، 1985، ج2، ص 16–17.

[3]– فاطمة بلهواوي، الفاطميون وحركات المعارضة في بلاد المغرب الإسلامي، دار الملط للطباعة، 2011، الجزائر، ص 274–275.

أما الفقيه محمد ابن العباس الهذلي الذي أصر على الإفتاء وفق مذهب الإمام مالك، فقد ضرب بالدرة عريانا وصفق قفاه حتى حز الدم من رأسه، وشهر به في أسواق القيروان في سنة 311هـ على يد القاضي النفقي[1].

وكان جزاء أحمد بن أحمد بن زياد الفارسي أكثر قدامة لأنه كتب عقد زواج على شروط مهب مالك، ولم يمتثل لأوامر المهدي.

كما قتل المهدي في سنة 307هـ/921م "عمروس المؤذن"[2]، بعدما ضربه وقطع لسانه بعد أن شهدت عليه جماعة من المشارقة بأنه أذن ولم يقل:" حي على خير العمل"[3]، وبذات التهمة لقي محمد بن سحنون ذات المصير، وهناك العديد من الفقهاء ذهبوا ضحية تركهم "حي على خير العمل" من الآذان تعمدا كان أو نسيانا.

إلا أن هذه الجرائم من القتل والاضطهاد زادت علماء المالكية تحديا وصمودا، وقد وصف صمود هذه الفرقة بأنهم:" قوم إيمانهم مثل الجبال....".

ثانيا: مضايقة الموحدية لعلماء المالكية:

أولا- عوامل الصراع بين المالكية والسلطة الموحدية:

اعتبر تباين خلفيات المذاع أول خلفيات الصراع بين السلطة الموحدية وفقهاء المالكية فالنمط المذهبي الذي رسخه المالكية في المغرب الإسلامي وصف من طرف عدة باحثين بالتزمت والجمود والحجر على الفكر.[4] في حين فتح الموحدون الباب أمام الاجتهاد في

---

[1]- الفاطمي النفطي، هو محمد بن عمران النفطي، كان قاضيا على مدينة طرابلس قبل أن يوليه المهدي قضاء القيروان، أنظر ابن عذارى المراكشي، مصدر سابق ج1، ص 188-189.

[2]- عمروس: هو شيخ المالكية أبو الفضل محمد بن عبيد الله بن أحمد بن محد عمروس البغدادي، أحد كبار المقرئين ومؤذن لمسجد أبي عائشة، أنظر الذهبي، سير أعلام النبلاء، مصدر سابق، ج5، ص 73.

[3]- المالكي، رياض النفوس في طبقات علماء إفريقيا، تح: بشير بكوش، دار الغرب الإسلامي، ط2، 1994، ج2، ص 152.

[4]- عبد الله غاني، دخول المذهب الأشعري، دار الحديث الحسنية، ع9، الرباط، 1999م ص 107.

المسائل الفقهية والأشعرية في العقيدة وعلم الكلام في المناظرة والاستدلال العقلي وهو ما بين الهوة الواضعة في التركيبة الفكرية في طرفي الصراع فلقد عمل فقهاء المالكية قرابة قرنين من الزمن على تثبيت مذهب السلف في الاعتبار باعتبار ظواهر النصوص والصفات من غير تأويل مع تنزيه الخالق وذاته عن أي تبيه وكذلك القول في الوجه واليدين والعينين وغيرها مما ورد في القرآن والسنة حيث كانوا يمررونه على ظاهرة فرارا من الافتراء على الشارع.[1]

وظلت هذه البنية العقائدية ملازمة للمغرب بفضل نصرة الفقهاء أصحاب الوجاهة والنفوذ لهذا المنحى العقائدي، إلا أن عودة ابن تومرت من رحلته غلى المشرق تعد منعرجا حاسما في التاريخ المذهبي للمغرب الإسلامي حيث شكلت عودته ثورة مذهبية انقلبت على الواقع الفكري السائد آنذاك حيث بدأ ابن تومرت حملة دعائية واسعة على الفقهاء الذين وصفهم بالمجسمين والمشبهين متبعا منهج التأويل للآيات والأحاديث[2]، ويشهد على ذلك ابن خلدون في قوله :"وكان لقي في المشرق أئمة الأشعرية من أهل السنة وأخذ عنه، واستحسن طريقتهم في الانتصار في العقيدة السنية والدأب عنها بالحجج العقلية، وذهب إلى رأيهم في تأويل التشابه في الآيات والأحاديث".[3] وهو يذلك أول من فتح الباب بدخول التأويل الكلامي الذي أصبح من المذهب العقدي الرسمي للدولة الموحدية.

أما الوجه الثاني للخلاف المذهبي فيكمن في الفقه وتأصيلاته حيث كانت صفة التقليد والاجترار لما ورد في كتب فروع الفقه المالكي من تقريرات فقهية، فانقطعت بذلك الصلة بين الذكر والأصول الفقهية من القرآن والحديث[4]، وهو ما عبر عنه المراكشي في قوله: "لم يكن

---

[1]– إبراهيم التهامي، الأشعرية في المغرب، ط1، دار قرطبة. الجزائر، 2006، ص 35.

[2]– عبد الله غاني، دخول المذهب الأشعري، ص 106.

[3]– عبد الرحمان ابن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر، ج6، تح: سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، 2000، ص 226.

[4]– عبد المجيد النجار، تجربة الإصلاح في حركة الهدي بن تومرت، ط2، المعهد العالي للفكر الإسلامي، فرجينيا الولايات المتحدة الأمريكية، 1415، ص 48.

يقرب من أمير المؤمنين أو يحظى عنده غلا علم الفروع، فانتشرت في ذلك الزمان كتب المذهب المالكي وعمل بمقتضاها ونفذ ما سواها وكثر ذلك حتى مسي النظر في كتاب الله وحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، ودان أهل ذلك الزمان بتكفير كل من ظهر عليه الخوض في علم الكلام".[1]

ويبدو أن ابن تومرت وقف على هذا المنهج الفروعي الذي كان سائدا، وتنبه إلى مساوئه من خلال احتكاكه بالفقهاء ومناظراته معهم إلى النتائج السيئة من جهود وضيق الأفق الفكري ما أدى إلى فقدان الصلة بين النفوس والمصادر النصية من القرآن والحديث التي لها قوة التأثير على النفس وإصلاحها وهو ما ليس متوفرا في الأقوال الفقهية الجافة [2].

وتذكر المصادر في هذا الشأن أن مغاربيا التقى برجل من بغداد في الحجاز فقال البغدادي روي عن النبي صلى الله عليه وسلم كذا، فقال المغاربي:" فيما أذكر أن مالك لا يرى ذلك".

فقال البغدادي" شاهت وجوهكم يا أهل المغرب تعرضون قول رسول الله بقول مالك، ولم تختلف الصورة الفقهية التي انتهجها ابن تومرت عن تلك التي أقرها خلفاؤه وانتصروا لها بالقوة واستعان كل من يخالفها وهو ما زاد من مدة الصراع والخلاف بين الفقهاء والموحدين.[3]

وإذا كان بعض الباحثين يرون أن حركة ابن تومرت بدأت دينية لا تطمع في شيء وإن المهدي كان مخلصا وأنه لم يكن يهمه ملك ولا دنيا غير بلوغ مقصده في محاربة الفساد

[1]– الواحد المراكشي، كتاب المعجم في تلخيص أخبار المغرب، تح: محمد السعيد العريان ومحمد العالمي، القاهرة، ط1، ص 121.

[2]– عبد المجيد التجار، تجربة الإصلاح، ص 94.

[3]– عبد الله الحسني كنون، النبوغ المغربي، ج1، ط2، مطبعة نطوان 1380هـ/1760م، ص 100

وتحديد الدين... وأنه صاحب فكرة إصلاحية[1]، فإن هناك من يرى أنها بدأت أشبه ما يكون بحرب سياسي أو تنظيم سياسي يدفعه الطمع في السيطرة والحكم على الأوضاع، والمتتبع لحياة المهدي لا يرى من خلال تسللها غير عالم مصلح أهدافه الدعوية إلى خوض غمار السياسة بالقليل من التعمق في حياة الرجل ومحاولة الربط بين مقومات دعوته والتنظيم الدقيق لأتباعه والاستعداد الكامل لمحاربة جيش الدولة، كل هذه الأشياء تقضي إلى أن المهدي بدأ حركته وقد وضع مخططا ثوريا لنسف حكم المرابطين وإقامة حكم على أنقاضه.[2]

وكان لا بد للمهدي أن يلجأ إلى الدين وأصول الشرع ليهاجم المرابطين ويقوض دعائمهم الفقهية القائمة على الفروع وكان لا بد كذلك أن يتصل بجماهير الشعب يعينها على المرابطين والثورة عليهم.[3]

كما اعتمد على مبادئ الشيعة المتصلة بالمهداوية والإمامة والعصمة حيث أدار مذهبه إلى الجانب السياسي وذلك لإضفاء القدسية التامة على كل ما كان يورده من أقاويل.

ومما لا شك فيه أن ابن تومرت كان يعلم أن الدولة المرابطية تستمد قوتها من تحالفها الوثيق مع الفقهاء الذين كانوا يمثلون هيئة لها بالرسوخ في المجتمع، ولها سلطة معنوية ونفوذ واسع في الحياة اليومية، فلم يكن أمامه بديل من تفويض هذا التحالف ولذلك استهدف الفقهاء أنفسهم وأظهرهم بمظهر اكتسب إلى العلم مشكك في استقامتهم ناعتا إياهم المتاجرة بالعلم وتسفيره في تأييد الحاكم الظالم مقابل ما ينالونه من نظام الدنيا وذلك من أجل فض الناس من حولهم.[4]

---

[1]– لخضر محمد فولطيس، فقهاء المالكية والتجربة السياسية الموحدية في الغرب الإسلامي، ط1، فرجينيا، الولايات المتحدة الأمريكية، المعهد العالي للفكر الإسلامي، 2008، ص 89.

[2]– حسين بولقطيب، ابن تومرت وتحديث الفكر الإسلامي، الاجتهاد، العدد 20، بيروت، 1993، ص 64.

[3]– بولطيف، فقهاء المالكية، ص 96.

[4]– حسين بولقطيف، مرجع سابق، ص 90.

ويتضح مما سبق ذكره أن الطموح السياسي كان أحد الدواعي الرئيسية لابن تومرت لتحريك دعوات ابن تومرت الإصلاحية إلى ثورة سياسية تطمح إلى الإطاحة بحكم المرابطين وإقامة دولة على أنقاضها وهو ما يعتبر دافع آخر للصراع بين الموحدين وفقهاء المالكية الذين ظل ولائهم للمرابطين من بعد سقوط دولتهم.

ثانيا: دوافع اضطهاد السلطة الموحدية للمالكية.

تذكر بعض الروايات أن العداوة بدأت في عهد عبد المؤمن الذي عقد سنة 550هـ/1155م اجتماعا مع فقهاء المالكية أشبه ما يكون بالمناظرة، حاول إقناعهم بالرجوع إلى كتاب الله والسنة ونبذ كتب الفروع والمالكية بما فيها المدونة، وقد ناب عن الفقهاء المالكية في وجهة نظرهم الفقيه ابن زرقون الذي لم يستجب لرأي الخليفة بل رد عليه بقوله: "يا سيدي جميع ما في هذا الكتاب يعني المدونة مبني على الكتاب والسنة وأقوال السلف والإجماع وإنما اختصره الفقهاء تقريبا لمن ينظر فيه من المتعلمين والطالبين.[1]

وكانت المناظرة حول عدة مسائل في "مدونة سحنون" منها مسألة إعادة الصلاة في الوقت التي يقرها المالكية، ويرفضها الظاهرية وانتهى المجلس بإقرار رأي الظاهرية بعد كلام دار بين ابن زرقون المالكي وأحد الظاهرية، وقد عبر ابن زرقون عن عداء عبد المؤمن للمالكية بأن الخليفة كان مراده أن يحمل الناس على مذهب ابن حزم[2]

أما يوسف ابن عبد المؤمن فكان موقفه أشد صرامة فبينما أنصت أبوه عبد المؤمن بن علي إلى جواب ومرافعة ابن زرقون ودفاعه عن المدونة، نلاحظ أن يوسف قطع سبل الحوار والمناقشة مع الفروعية المالكين مقررا أن لا مجال لرجوع إلى غير الكتاب والسنة وليس هناك من بديل لمن لم يقتنع سوى السيف.

---

[1]– سعيد أعراب، موقف الموحدين من كتب الفرع، مجلة دعوة الحق المغرب، ع 249، 1985م، ص26.

[2]– مغزاوي مصطفى، التحولات المذهبية في المغرب الإسلامي والأندلس خلال العصر الموحدي، أطروحة دكتوراه في التاريخ الوسيط، المدرسة العليا للأساتذة، بزريعة، 2011، 2012. صر30.

ويشهد لذلك رواية المراكشي في المعجم عن غمام المالكية في وقته أبو بكر بن الجد إذ يقول:" لما دخلت على أمير المؤمنين أبى يعقوب أول دخلة دخلتها عليه، وجدت بيت يديه كتاب ابن يوسف، فقال لي:" يا أبا بكر أنا أنظر في هذه الآراء المتشبعة التي أحدثت في دنيا الله، أرأيت يا أبا بكر المسألة فيها أربعة أقوال أو خمسة أقوال أو فأي هذه الأقوال هو الحق؟ وأي يجب أن يأخذ به المقلد؟ ففت من لك، فقال لي وقطع كلامي، يا أبا بكر، ليس إلا هذا وأشار إلى المصحف، أو هذا وأشار إلى كتاب سنن أبي داود، وكان عن يمينه أو السيف".[1]

وتذكر المصادر أنه قتل اثنين من كبار علماء المالكية في عهده، ويتعلق الأمر بعلي بن صالح العبدري لمعروف بابن أعز الناس الذي كان كبير فقهاء شرق الأندلس، أما الثاني فيتعلق بالقاضي محمد ابن إبراهيم بن أحمد بن خضر الحكمي المعروف بابن سعد الفقيرة الغرناطي الذي سمي به إلى السلطان فقتل مظلوما سنة 567هـ/1171م.[2] وسجن في عهده أحد كبار الحفاظ للمذهب المالكي في المغرب، وهو عبد الله ابن محمد بن عيسى التاذلي 597هـ/1200م، وغرب إلى مكناسة وبها توفي سنة 597 هـ/1200م[3]، وقد جمعه السجن مع عالم آخر وهو أبو عبد الله محمد بن عياض سنة 575هـ/1179م.

وفي عهد المنصور تخبرنا بعض المصادر أنه حاول محو المذهب المالكي من البلاد[4]. وأمر بإغراق كتب الفروع، وأن تكون أحكام العلماء بما يظهر لهم من الكتاب والسنة، فأغرق منها مدونة ابن سحنون وكتاب ابن يونس وغيرها.[1]

---

[1]– المراكشي، مصدر سابق، ص 204.

[2]– أحمد المكناسي ابن القاضي، جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس، ج3، دارالمنصورة للطباعة والوراقة، الرياض، 1973، ص 421.

[3]– محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي ،التكملة لكتاب الصلة، ج1، تح: عبد السلام الفراس، دار الفكر للطباعة، بيروت، 1995، ص 921.

[4]– المراكشي، المصدر السابق، ص 204.

وفي ذلك يقول المراكشي: "وفي أيامه انقطع علم الفروع، وخافه الفقهاء، وأمر بإغراق كتب المذهب"، وكانت عملية الإغراق نتيجة لقناعات يعقوب المنصور وميوله وإعجابه الشديد بابن قوم الظاهري، وبالتالي عدائه للمذهب المالكي.[2]

ويبدو أن يعقوب المنصور لم يكتف بإغراق كتب الفروع المتداولة في عصره، بل أيضا كان يقف بالمرصاد أمام كل من أراد أن يؤلف على منوالها، ولدينا إشارة توحي بذلك، فأبو الحسن الراعيني يقول في ترجمة محمد بن سعيد بن أحمد بن سعيد ابن زرقون" وكان قد شرع في تأليف يسميه: أزهار السنن وإيضاح السنن في الفقه ثم تركه حين امتحن فسألته عنه وأسفت لكونه لم يؤلفه فانشدني:

أن الخليفة قد أبى وإذا أبى شيئا أبيته.

وهكذا جمع يعقوب المنصور بين محاصرة كتب الفروع الفقهية بواسطة إحراق ما ألف منها وأيضا منع من يحاول تأليف جديد في نفس الموضوع. [3]

وامتحن المنصور كبير فقهاء المالكية ابن زرقون صاحب كتاب تهذيب المسالك إلى تحصيل نذهب مالك، فأحرقت مكتبته ورثتها عن أبيه الفقيه أبو الحسين ابن زرقون، وذكر أن المكتبة المعروفة كانت تقاوم مالا جسيما وتساويه في كل صنف تشتمل عليه من الرأي، وسجن طويلا بمدينة سبتة، وتعرض للتعذيب".[4]

وأوذي مع أبي الحسين ابن زرقون نظيره في العلم والدفاع عن المذهب المالكي الفقيه محمد بن علي بن خلف التجيدي الإشبيلي سنة 596هـ/1199م الذي وحي به للمنصور أيام مشي به أيام عزمه على ترك التقليد والعمل بالحديث ولا تعرف طبيعة ومصدر الوشاية التي

---

[1]– أبو الوليد إسماعيل ابن الأحمر كتاب روضة النسرين في دولة بن مرين، تح: عبد الوهاب بن منصور، المطبعة الملكية، 1962ت ص 19.

[2]– سعيد أواب، المرجع السابق، ص 29.

[3]– مغزاوي، مرجع سابق، ص 327.

[4]– ابن الأبار. التكملة، ج 2، ص 444.

تسببت في محنة هذا الفقيه، لكن تأثير النكبة عليه كان أشد إلى حد أنه اعتزل الناس ولزم بيته ومات بعدها.[1]

نلاحظ من خلال هذا النص درجة الخوف والذعر التي لحقت بالفقهاء المالكية من الموحدين، ومثلها قصة أبا الوليد بن عبد الله القرطبي المالكي الحافظ سنة 551هـ/1156م الذي وصف المقري أحواله بأنه خرج من قرطبة إلى مصر فرارا منطلب الموحدين له، وأقام بالإسكندرية خوفا من بني عبد المؤمن بن علي.[2]

ومن الفقهاء الذين نالهم أذى المنصور الفقيه أبو بكر الجياني الذي توفي بالسجن سنة 596هـ/1199مبعد امتحان من أبي يوسف نتيجة التعذيب جراء إصراره على التدريب بمذهب مالك.[3]

وأغلب الظن أن اقتصار متابعة الموحدين على هؤلاء الفقهاء ربما كان بسبب إصرارهم على استنكار موقف المنصور من فقه الفروع، إلا أن الإمام الشاطبي سنة 790هـ/1387م يذكر أن الموحدين نكلوا بجملة من الفضلاء بسبب أخذهم في الشريعة بمذهب مالك.

ويلاحظ تراجع التأليف في الفتاوى والنوازل خلال العصر الموحدي، ولا نستبعد أن فقهاء العصر الموحدي أصبحوا يتحرجون من تدوين فتاواهم.[4]

---

[1]– محمد المغزاوي، صمود المذهب المالكي في العصر الموحدي، دعوة الحق، ع 391، الرباط 2009م، ص 120.

[2]– ابن الآبار/ التكملة، ج1، ص 557.

[3]– أحمد بن محمد التلمساني المقري، كتاب نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، ج2، تح: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1968، ص 57.

[4]– المغزاوي، مرجع سابق، ص 27.

ثالثا- دور محن العلماء في بناء الحضارة وإنهيارها:

1- إسهامات علماء المالكية في ترسيخ المهب المالكي:

إن من أشكال المقاومة السنبة للمذهب الشيعي، عنابة المالكية بترسيخ العقيدة السنية والمذهب المالكي في نفوس الناشئة وتلقين مبادئها لطلاب العلم والعامة في مجالس الدرس والوعظ، فقد استطاع المالكية بما بذلوه من جهود مضاعفة في هذا المجال أن يلحقوا العامة ويكسبوها مناعة قوية ضد الفكر الشيعي الإسماعيلي.[1]

من أبرز من كرس جهوده لخدمة هذا الترسيخ ابن أبي زيد القيرواني الي كان له الفضل في الحفاظ على المذهب المالكي بإفريقيا والمغرب الإسلامي وله عدة مؤلفات أهمها: كتاب "الرسالة" الذي تنعكس فيه إرادته من أجل تحقيق المذهب وتلامذته من الأفكار والخرافات الشيعية الباطلة.[2]

ولقد اعتمد العلماء المالكية من أجل تجديد وترسيخ المذهب المالكي لإفريقيا بأسلوب يطلق عليها "المناظرة"[3]

وكان لهذه الأخيرة دور كبير، ونجد كل من أبي عثمان سعيد بن حداد وابن التبان اللذان ساهما أيضا في ترسيخ المهب والقضاء على الخرافات والمعتقدات الباطلة الشيعية.[4]

وإن هذا الأسلوب كان له عدة نتائج وخاصة في مجال التأليف بالنسبة لعلماء المالكية نجد أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الله المعروف بالقنانسي 359هـ، وكتابه "الإمامة والرد على

---

[1]-نجم الدين الهنتاني، المذهب المالكي بالغرب الإسلامي إلى منتصف الفرن15، دار تبر الزمان تونس، 2004، ص 157-158.

[2]- محمد أحمد عبد الولي، القوة السنبة في بلاد المغرب من قيام الدولة الفاطمية إلى قيام الدولة الزيرية، ج5 دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية،1985، ص 271.

[3]- مصطفى الوظيفي, كتاب في أصول التشريع الإسلامي دراسة في التناظر ابن حزم والباجي, ص15- 56.

[4]- حفيظ كعوان، أثر فقهاء المالكية الاجتماعي والثقافي في إفريقيا(2-5هـ/8-12م) مذكرة ماجستير في التاريخ الإسلامي، إشراف إسماعيل سامعي، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة باتنة 2009ان ص 142.

الرافضة" وأيضا في مسألة "العصمة" نجد أبا بكر بن اللباد في كتابه "إثبات الحجة فب إثبات العصمة".

وفي مسألة منع الشيعة العصمة نجد أبا بكر بن اللباد في كتابه "إثبات الحجة في إثبات العصمة" لقد ألف أبو زيد القيرواني كتابا في "فضل قيام رمضان" وكتاب آخر "تفسير أوقات الصلوات" كما ألف ابن التبان كتاب " فضائل هلال البيت" ليحاج به العبيدين في مناظرهم.

ليحاج في العبيديين في مناظرتهم.[1]

2- تداعيات السنة المالكية في العهد الموحدي:

تسببت السياسة المتشددة من المالكية في ظهور معارضة شديدة متنوعة الأشكال من طرف فقهاء المالكية ضد الموحدين، فقد سلك بعض الفقهاء سلك المقاومة الصامتة في حين رأى بعضهم المجاهرة بالمقاومة، أما من اتبع نهج المقاومة السلبية أو الصامتة فقد اعتمدوا على رفض العقيدة التومرتية عن طريق اللامبالاة والإعراض سواء على المستوى الرسمي أو العلمي[2]، ومن جملة الفقهاء الذين سلكوا هذا المسلك القاضي عياض إذ لم يرد في كتابه "الشفا" ذكر ولا إشارة إلى المهدي ومهبه في كتاب تحدث في مجمله عن إثبات العصمة للنبي صلى الله عليه وسلم ونفاها إطلاقا عن بقية البشر وفي ذلك رد مبطن على مزاعم ابن تومرت[3]، ومن أمثلة الرفض السلبي أو الصامت ابن الزياد التدلي 627هـ/1229م في كتابه "التشوف" الذي لم يذكر فيه أيا من خلفاء الدولة الموحدية، وهوم

[1]- الهادي روجي إدريس، الدولة الصنهاجية، تاريخ إفريقيا في عهد بن زيري من القرن 10إلى 12م، تح: حمادي الساحلي، دار الغرب الإعلامي، لبنان، 1992م، ج1، ص 41.

[2]- مغزاوي، مرجع سابق، ص 199.

[3]- عبد السلام شاقور، جهود المالكية في مواجهة الفرق المخالفة في الغرب الإسلامي، مجلة التاريخ العربي، العدد41 جوان 2007، ص 12.

من جهة أخرى بإثبات شيوع الصلاح بين المصامدة والتزامهم بالمذهب المالكي وفي ذلك تجاهل واضح لابن تومرت ومذهبه.[1]

وعلى نفس النهج سار القاضي أبو القاسم أخيل ابن إدريس الرشدي 561هـ/ 1165م الذي عوقب بالنفي إلى مكناس بسبب ما قيل عنه أن قال في حق عبد المؤمن: "كيف تصبح له الخلافة وليس بقرشي". كما عبر فقهاء آخرون من أجل تبرير قيامهم عليهم ونقضهم لبيتهم.

وهو الأمر الذي تكشف عنه عدة مصادر في ثنايا استعراضها للأحداث من مواقف متعاطفة للفقهاء مع الثوار من خلال خطبهم التي كانت تحمل البيع والولاء للعباسيين في دعوة ضمنية للقيام على حكم الموحدين ونقض بيعتهم، فعلي بن غانية 550هـ-584/1184-1188م لما تملك بجابة خطب بها للخليفة العباسي الناصر[2] وتحدثت المصادر التاريخية في نفس السياق عن التسهيلات التي وجدها بنو غانية حين دخولهم إلى بجاية، ووقف الفقيه أبي محمد عبد الحق الإشبيلي الذي أجاب يحبى بن غانية في ولاية الخطبة بالمسجد الجامع وكان قد رفضها من الموحدين، ومما قاله في خطابه: "الحمد لله الذي أعاد الأمر نصابه وأزاله من أيدي غاصبيه".[3]

كما أنه لا يستبعد ضلوع بعض الفقهاء المباشر في تأييد حركات ثورية مناوئة للسلطة الموحدية، ففي سنة 586هـ/1199م قامت ثورة على بن محمد بن رزين الجزيري الي كان ينكر على الموحدين انحرافهم ومهدبتهم وتصيرهم الخلافة ملكا وتوسعهم في الرفاهية وإهمالهم للرعية[4]. ومن أشهر الحركات الثورية المناوئة للموحدين الثورة التي قادها الفقيه أبي القاسم بن فارس الغرناطي المعروف بالمعر 601هـ/1204م، ومن الفقهاء الذين رفضوا

[1]- المقري، نفح الطيب، ج4، ص 203.

[2]- أبو الحسن علي ابن أبي الكرم محمد بن محمد بن الأثير، الكامل في التاريخ، ج10، ط4، راجعه وصححه محمد يوسف دقاق، دار الكتب العلمية بيروت، 2003-1423، ص 128.

[3]- ابن عذارى، مصدر سابق، ص 155.

[4]- المقري، نهج الطيب، ج4، ص 56.

التومرتية واختاروا المواجهة المباشرة عبد الله بن محمد بن عبد الله المعروف بابن ذمام 580هـ/1184م، ولقد ظل هذا العالم يحتفظ بعواطف المعادية لابت تومرت ومهدويته ففي إحدى خطب الجمعة وحين استوي الخطيب على الخبر وأخذ يعظم الإمام المهدي قال:" كذبت لعنة الله".

ومن شواهد الرفض والإنكار الذي ظل المالكية يظهرونه للموحدين وعقيدتهم أن المأمون حين تبرأ من العقيدة التومرتية، وأنكر ما كان عليه أسلافه، لقي دعما ومساندة كبيرة من فقهاء المالكية، ومن لك قول الفقيه الأديب ابن عمرو بن خبازة الفاسي 637هـ/1240م صادقا المأمون:

وحد النبوة حلة مطوبة لا يستطيع الخلق نسجها مثلها

فأسر حسوان ارتقاء يبغي بمحالة نسجا على منوالها.[1]

ومن جهة أخرى نجح المذهب المالكي مرة أخرى في الثبات والاستمرارية في القرب الإسلامي رغما عما شهده من تضييق خلال القرن 6هـ/12م، ذلك أن انتكاسة المذهب التومرتي طالت الأصول والفروع معا خلال العهد الثاني للدولة الموحدية 595هـ-688هـ/1198م-1288م، فلم تسجل لنا المصادر خلال هذه الفترة ذلك الحماس للمنهج الظاهري الي انتاب خلفاء الدولة الموحدية في عهدها الأول، إذ تراجع المذهب "الحزمي" ولم تجد من اتباعه خلال القرن السابع الهجري إلا عددا قليلا"، مثل أثير الدين أبي حيان النحوي، وأحمد بن صابر القيسي الشاعر وكان كاتبا للأمير أبي سعيدة فرج بن محمد نصر، أول سلاطين بني الأحمر... ولم يبق له أثر يذكر إلا في بطون الكتب.

إلا أن المذهب الظاهري ترك أثرا واضحا وإيجابيا على الفقه المالكي في الفترة الموحدية، إذ أصبح المذهب المالكي في الفترة الموحدية أقل انغلاقا وأكثر تفتحا على النصوص، فشهد ثراء على مادته كما شهد تحسنا ف منهجه وأخذ في الاقتراب أكثر من

[1]- المقري، أزمار الرياض، ج2، ص379-381.

النصوص، فلم يبق ذلك الفقه الساذج الذي يقارب أئمة المذاهب بعضها ببعض ويرجعها في النهاية إلى رواية ابن القاسم عن الإمام مالك، ببل صار يعتمد على الأدلة وينظر في الغلاف الحالي، وأصبح التعامل بالدليل الشرعي من الحديث النبوي أمرا ملحا خاصة في المناظرات مع الفقهاء الظاهريين كما ازداد إقبال للمالكية على علم الأصول والكلام أكثر من ذي قبل. كما انتعش علم الحديث كثيرا وألفت فيه تأليفات هامة[1].

وصار المالكية يغترفون من علوم الحديث، فهذا إبراهيم بن الكماد الفاسي 663هـ/1235م، كان أحفظ أهل زمانه لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان مع مالكيته يميل إلى الظاهر، وأبو الحسن علي بن محمد بن عبد الله الملك الكتامي الحميري الفاسي المعروف بابن القطان 628هـ/1230م الحافظ المحدث المؤرخ، كان ملما برجال الحديث ورواياته، نشأ لفاس وأخذ عن شيوخ عصره[2]، انتهت إليه في المغرب صناعة الحديث وروايته، وأبو المجد أحمد بن الحسن بن عمر بن محمد الحضرمي المرادي الغرناطي، ت651هـ/ 1253م، كان فقيها حافظا ذاكرا لنوازل بصيرا بالفتوى متقدما في علم الكلام وأصول الفقه سنيا فاضلا متين الدين.[3]

فإذا أمعنا النظر في مالكية القرن السابع الهجري نجد أن تكوينهم وثقافتهم وعطاءاتهم لم تعد تقتصر على كتب الفروع والرأي، بل يجمعون إلى ذلك دراسة علوم أخرى وعلى رأسها الحديث.

ومع ذلك الانتعاش الذي عرفه المذهب الظاهري إلا أن الغلبة عادت في الأخير للوجهة الفقهية القائمة على الفروع والتقليد على حساب منهج الأصول والاجتهاد، ومثل عودة المذهب المالكي وانتعاشه نهاية العصر الموحد وبداية العصر المريني عدد من الفقهاء الذين

[1]– محمد المغراوي، مرجع سابق، ص 105.

[2]– أبو جعفر أحمد بن إبراهيم الثقفي الجياني ابن الزبير، صلة الصلة، تح: بروفنسال مطبعة الاقتصادية، الرباط 1938، ص 131.

[3]– نوازل البرزلي، سعد أعراب مقال موقف الموحدين من كتب الفروع، مجلة دعوة الحق المغربية، يونيو، 1985، ع249ص 26-30.

برزوا في الفقه المالكي بفتاويهم ومصنفاتهم ودروسهم ومجالسهم وتعصبهم أحيانا، من أشهرهم: الإمام بن الحاجب 646هـ/1248م رجل المختصرات صاحب كتاب "جامع الأمهات المشهور ب"المختصر" الذي جمع فيه اكثر من ستين ألف مسألة من ذلك المقدار الوجيز من الكلام، اختصر فيه الفقه المالكي كما اختصر الأصول، واختصر النحو والصرف، من قال عنها ابن خلدون "إن صاحبه لخص فيه طرق أصل المذهب في كل باب وتعديد أقوالهم في كل[1] مسألة، فجاء كالبرنامج للمذهب".

ومما يؤكد حضور المذهب المالكي في ممارسة القضاء وفق اجتهادات المهب المالكي.

وتعزز المذهب المالكي في الغرب الإسلامي بسيطرة المرينيين على مراكش عاصمة الموحدين، حيث يذكر إسماعيل بن الأحمر أن الأمير أبو يوسف يعقوب المريني 656هـ-684هـ/1259م-1286م، طاب منه أهل المغرب الرجوع في القضاء إلى مذهب مالك عن طيب منه أنفسهم، أمر قضاة المغرب بذلك وترك مذهب الظاهرية وعدم العمل بالأحاديث الموضوعة.

وبنهاية العصر الموحدي وبداية العصر المريني عادت الفروع بأكثر قوة مع المرينيين لينتصر بالمغرب من جديد انتصارا نهائيا.[2]

وعاد المذهب المالكي بعد العصر الموحدي أقوى من ذي قبل، ففي الوقت الذي تراجع فيه المهب في موطنه الأصلي بالمدينة المنورة منذ أوائل المائة السادسة[3]، ظهرت مدرسة مالكية بفاس وسبتة نهاية العصر الموحدي وبداية العصر المريني بشخصياتها ومؤلفاتها.[4]

---

[1]- محمد المغزاوي، مرجع سابق، ص 321.

[2]- محمد المغزاوي، مرجع سابق، ص 123.

[3]- أحمد بن يحيى الونشريسي، المعيار المعرب والجامع المغرب عن علماء إفريقيا والأندلس والمغرب إعداد: محمد حجي آخرون، بيروت، 1981.

[4]- محمد المغزاوي، مرجع سابق، ص 103.

وبقيت تقاليد المذهب التي أرسلها فقهاء المالكية مستمرة سواء على مستوى التدريس أو التأليف أو الفتوى أو القضاء، الشيء الذي يجعلنا نقول أن مساعي الموحدين لمحو مذهب مالك أو تهميشه كان مفعولها ظرفيا زال بزوالهم.

ويمكن القول أن المذهب المالكي وفقهاءه وأنصاره قطعوا محنة العهد الموحدي للوصول إلى شاطئ القرن السابع مطمئنين آمنين، وبالتالي عاد المذهب المالكي ليسود الساحة الفقهية في الغرب الإسلامي، فتوى وتصنيفا وتدريبا، لتعلق المغاربة بالمذهب المالكي من جهة. وطبيعة التغيير الموحدي المتسرع من جهة أخرى، بالإضافة إلى الدور الريادي والأساسي الذي لعبه فقهاء المالكية في الحفاظ على مذهبهم.[1]

[1]– مصطفى مغزاوي، مرجع سابق، ص 322.

خاتمة

خاتمة

وفي ختام هذا البحث وصلنا إلى مجموعة نتائج نجملها فيما يلي:

- رغم القمع والتضييق، أبان العديد من العلماء عن ثبات وصمود، وأسهمت محنهم في تجديد الفكر الديني والفلسفي، وفي دفع مسارات الاجتهاد والتأصيل العلمي. فكانت للمحن آثار متفاوتة؛ إذ شكّلت في بعض الأحيان حافزاً لإصلاح الواقع السياسي والديني، وفي أحيان أخرى دلّت على أزمات حضارية وانغلاق فكري.
- محنة فقهاء المالكية في المغرب كانت نتيجة تصادم بين السلطة السياسية والمذهب المالكي في سياقات مختلفة.
- أظهرت ثبات العلماء على مرجعيتهم، رغم الإقصاء أو الاضطهاد، ما ساعد في ترسيخ المذهب المالكي كمكوّن رئيسي في هوية المغرب الدينية.
- كشفت محن فقهاء المالكية عن دور العلماء كحماة للمذهب واستقلالية الفكر الديني في وجه التوظيف السياسي.
- تمثلت محنة الفلاسفة في الأندلس في صراع بين العقل والنقل، حيث اصطدمت التأويلات الفلسفية بحرّاس العقيدة الرسمية. وواجه الفلاسفة تهم الزندقة أو الإبعاد بسبب تجاوزهم التأويل التقليدي، ما أظهر ضيق هامش حرية الفكر في سياقات متقلبة, ورغم المحن، أنتجت الأندلس تيارات فلسفية رائدة أثرت في الفكر الإسلامي والإنساني عامة.
- عكست محنة العلماء في العهدين المرابطي والموحدي مفارقة بين شعار الإصلاح الديني الذي رفعته السلطة، وممارساتها القمعية تجاه العلماء المخالفين وكشفت عن توظيف السلطة للدين كأداة سياسية، ومعاقبة العلماء الرافضين لذلك.
- أدّت المحن إلى انكماش فكري وضعف حضاري، فالدول التي قهرت علماءها ساهمت في تقويض أسس ازدهارها.

خاتمة

- تؤكد محن العلماء في المغرب والأندلس أن الحرية الفكرية شرط أساسي لازدهار الحضارة, ذلك أن هذه المحن كانت في ظاهرها ألمًا واضطهادًا، لكنها ساهمت في بلورة هوية مذهبية وفكرية صلبة.
- يمثل التاريخ المشترك لهذه المحن درساً معاصراً حول العلاقة الصحية بين الفكر والسلطة، وضرورة استقلال المؤسسة العلمية عن التوظيف السياسي والعقائدي.
- وبالتالي تُظهر محن العلماء في المغرب والأندلس عمق الصراع بين السلطة السياسية والدينية من جهة، وحرية الفكر والعلم من جهة أخرى.
- لم تكن المحن التي تعرّض لها العلماء مجرد أحداث معزولة، بل عكست اختلالات بنيوية في العلاقة بين الفكر والسلطة، وعبّرت عن محاولات تطويع المعرفة لخدمة الشرعية السياسية أو العقدية.
- في الختام، يتضح أن محن العلماء في المغرب والأندلس لم تكن مجرد حوادث فردية أو طارئة، بل كانت تعبيرًا عن صراع مستمر بين الفكر الحر والسلطة السياسية أو الدينية. فقد عانى العديد من العلماء من الاضطهاد، والنفي، والسجن، بل أحيانًا من القتل، نتيجة تمسكهم بالحقيقة العلمية أو آرائهم الفقهية أو مواقفهم الأخلاقية. ومع ذلك، لم تكن هذه المحن سببًا في توقف حركة العلم، بل كثيرًا ما كانت دافعًا لتأصيل الفكر وتقوية الإبداع، مما أسهم في إغناء الحضارة الإسلامية بتراث علمي وفكري خالد. وهكذا، فإن تضحيات العلماء تشكل دروسًا في الشجاعة والالتزام بالحق، وتدعونا إلى احترام حرية الفكر والعلم في كل زمان ومكان.

قائمة

المصادر

والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

المعاجم:

1. أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور، لسان العرب، مج 13، نشر الحوزة، 1405هـ.
2. ضيف شوقي وآخرون، معجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، ط4، مكتبة الشروق الدولية، 1425هـ-2004م.

الكتب العربية:

1. ابن الأثير أبو الحسن علي ابن أبي الكرم محمد بن محمد، الكامل في التاريخ، ج10، ط4، راجعه وصححه محمد يوسف دقاق، دار الكتب العلمية بيروت، 2003-1423.
2. ابن الأحمر أبو الوليد إسماعيل, كتاب روضة النسرين في دولة بن مرين، تح: عبد الوهاب بن منصور، المطبعة الملكية، 1962, تح: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1968.
3. ابن الزبير أبو جعفر أحمد بن إبراهيم الثقفي الجياني، صلة الصلة، تح: بروفنسال مطبعة الاقتصادية ، الرباط 1938.
4. ابن القاضي أحمد المكناسي، جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس، ج3، دار المنصورة للطباعة والوراقة، الرياض، 1973.
5. ابن القرضي، تاريخ علماء الأندلس، الدار المصرية للتأليف والترجمة، مطابع سجل العرب 1966م، القاهرة، ج3.
6. ابن وردان، تاريخ مملكة الأغالبة، تح: محمد زينهم محمد عرب، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط1، 1408هـ-1988م.
7. إسماعيل محمود، الأغالبة _(184-296هـ)، سياستهم الخارجية، دار عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ط3، 2000م.
8. أعراب سعيد، موقف الموحدين من كتب الفرع، مجلة دعوة الحق المغرب، ع 249، 1985م.
9. الأندلسي أبو الوليد محمد بن أحمد ابن رشد، تهافت التهافت، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2008، تح: أحمد شمس الدين.

10. الأندلسي أبو بكر محمد بن باجة، كتاب النفس ، تح: محمد الصغير المعصومي، دار صادر، بيروت، ط2، 1412-1992م.
11. البشري سعد عبد الله صالح، الحياة العلمية في عصر الخلافة في الأندلس (316هـ-422هـ/928م 1030م)، مكتبة الملك فهم الوطنية، 1417-1997م.
12. البطلبوسي ابن السيد، المثلث، القسم الأول، تح: صلاح مهدي الفرطوسي، دار الرشيد، 1981.
13. بلهواوي فاطمة، الفاطميون وحركات المعارضة في بلاد المغرب الإسلامي، دار الملط للطباعة ، 2011، الجزائر.
14. بن سرور عبد المقدسي الحافظ تقي الدين عبد الغني بن عبد الله الواحدين علي، محنة الإمام بن محمد بن حنبل، تح: عبد الله عبد الحسن التركي، دار الهجر، ط1، 1407هـ/1987م.
15. بوخاري عمر، محاضرات في التاريخ السياسي للأندلس، جامعة ابن خلدون، 2021-2022.
16. الترمذي، أبي عيسى محمد بن عيسى، الجامع الكبير، ج4، تح: بشار عواد عروف، لبنان، دار لغرب الإسلامي، 1996، ط1، باب ما جاء في عالم مدينة، رقم الحديث 2680.
17. التلمساني المقري، نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تح: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ج1، 1388هـ-1968م.
18. التميمي أبو العرب محمد بن أحمد بن تميم، كتاب المحن، نح: هيب الجبوري، ط3، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1427هـ.
19. التهامي إبراهيم، الأشعرية في المغرب، ط1، دار قرطبة الجزائر، 2006.
20. جمال الدين عبد الله محمد، الدولة الفاطمية قيامها ببلاد المغرب وانتحالها إلى مصر، دار الثقافة، القاهرة ، 1411هـ.
21. الحفيد العبيدي حماد بن رشد، حياته عمله فقهه، الدار العربية، 1984.

22. حواله يوسف بن أحمد، الحياة العلمية في إفريقيا(المغرب الأدنى)، منذ إتمام الفتح وحتى منتصف القرن الخامس الهجري، جامعة أم القرى، السعودية، ط1، 2000م، ج1.

23. الخربوطلي علي حسن، أبو عبد الله الشيعي، مؤسسة الدولة الفاطمية، الطبعة الفنية الحديثة، 1972.

24. الذهبي شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت748هـ) سير أعلاء النبلاء تح: مأمون الصوغاجي، مؤسسة الرسالة بيروت، 1981.

25. الذهبي شمس الدين محمد، العبر في النظر، تح: أبو مهاجر محمد بن سعيد ، دار الكتب العلمية، بيروت، 1985، ج2.

26. زناتي أنور محمود، المجاهرون بالزندقة والمتهمون بها في الأندلس منذ عصر الإمارة الأموية (حتى سقوط دولة المرابطين)، منشورات جامعة عين شمس، ع3، يناير 2024.

27. زينهم محمد، الإمام سحنون، دار الفرجاني، القاهرة، طرابلس، لندن.

28. سرور محمد جمال الدين، تاريخ الدولة الفاطمية، دار الفكر العربي، القاهرة، 1995.

29. سعد قاسم علي، جمهرة تراجم الفقهاء المالكية، دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث، ط1، 1423هـ-2002م.

30. الشبرازي ابن إسحاق، طبقات الفقهاء، المكتبة العربية، بغداد، 1356هـ.

31. شواط الحسين بن أحمد، مدرسة الحديث في القيروان من الفتح الإسلامي إلى منتصف القرن الخامس ، الدار العالمية للكتاب الإسلامي، ج 1، 1411.

32. الصلابي محمد علي، الدولة الفاطمية، مكتبة الحسن العصرية للطباعة، بيروت، 2009.

33. الصلاحي علي محمد محمد، الصراع بين أهل السنة والرافضة، نشر صفحات المطوية من تاريخ الدولة العبيدية الفاطمية، مكتبة الصحابة، الإمارات، دار التابعين القاهرة.

34. عبد الرحمان ابن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر، ج6، تح: سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، 2000.
35. عبد الرحمان، ابن رشد الفيلسوف العالم، المنظمة التحليلية للتربية والثقافة والعلوم، بيروت، ط3، 2007م.
36. عبد الله عنان محمد، دولة الإسلام في الأندلس، جزء المرابطين، ج4، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1997م.
37. عبد الولي محمد أحمد، القوة السنبة في بلاد المغرب من قيام الدولة الفاطمية إلى قيام الدولة الزيرية، ج5 دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية،1985.
38. العسقلاني ابن حجر، أحمد بن علي، تقريب التذهيب، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1996، ج3.
39. العصومي حسن، الفلسفة في الأندلس، ابن باجة وابن طفيل جوزيف بويج مونتادا أشرف منصور، 23 يناير 2024.
40. علقم حسين عبد الرحمان، الجوانب الفلسفية في كتابات ابن السد البطليوسي ، دار البشير، عمان، ط1، 1408هـ-1988م.
41. العليبي فريد، محنة ابن رشد، محاكمة العقل، ملتقى حول محنة العلماء في الحضارة العربية الإسلامية، 7 نوفمبر 2017.
42. عويصة كامل محمد محمد، الفيلسوف الزاهد، دار الكتب، بيروت، 1414هـ-1993م.
43. عويصة كامل محمد محمد، ابن رشد الأندلسي فيلسوف العرب والمسلمين، دار الكتب العلمية ، بيروت، 1413هـ-1991م.
44. عويضة أبو بكر محمد، ابن باجة الأندلسي، الفيلسوف الخلاف، المكتبة الإسلامية، بيروت، ط1.
45. عياض القاضي, ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة إعلام المذهب مالك، تح: محمد بن تاويت الطنجي، ج1/ وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، 1983، ط2.

46. غاني عبد الله، دخول المذهب الأشعري، دار الحديث الحسنية، ع9،الرباط ، 1999م.
47. الغثيم سليمان بن محمد بن عبد الله، الممتحنون من علماء الإسلام من عصر التابعين إلى نهاية القرن الرابع عشر الهجري، ط1، دار القاسم للنشر والتوزيع، الرياض 1432هـ-2011م.
48. الفقهي عبد الرؤوف، تاريخ الفقه الأندلسي، دار الفكر العربي، القاهرة، 1977م، ط1.
49. فولطيس لخضر محمد، فقهاء المالكية والتجربة السياسية الموحدية في الغرب الإسلامي، ط1، فرجينيا، الولايات المتحدة الأمريكية، المعهد العالي للفكر الإسلامي، 2008.
50. الفيومي محمد إبراهيم، تاريخ الفلسفة الإسلامية في المغرب والأندلس، دار الجبل، ط1، 1997.
51. القضاعي محمد بن عبد الله بن أبي بكر، التكملة لكتاب الصلة، ج1، تح: عبد السلام الفراس، دار الفكر للطباعة ، بيروت، 1995.
52. كنون عبد الله الحسني، النبوغ المغربي، ج1، ط2، مطبعة نطوان 1380هـ/1760م.
53. لقسنطيني ابن قنفذ، كتاب الوفيات، تح: عادل نويهض، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط4، 1403هـ/1983م.
54. المالكي أبو بكر، رياض النفوس في طبقات علماء إفريقيا وزهادهم وسير من أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم، تح: بشير بكوش، دار الغرب الإسلامي، ط2، 1994، ج2.
55. المالكي أبي بكر عبد الله بن محمد، رياض النفوس، تح: بشر البكوس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1403هـ-1983م، ج2.
56. المالكي، رياض النفوس في طبقات علماء إفريقيا، تح: بشير بكوش، دار الغرب الإسلامي، ط2، 1994، ج2.

57. المراكشي ابن عذارى أبو عباس بن أحمد بن محمد (ت95هـ)، إيمان المغرب في أخبار المغرب، مكتبة صادر، 1950، ج1.
58. المراكشي الواحد، كتاب المعجم في تلخيص أخبار المغرب، تح: محمد السعيد العريان ومحمد العالمي، القاهرة، ط1.
59. المراكشي عبد الواحد، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تح: محمد العريان، مطابع شركة الإعلانات الشرقية، القاهرة، 1983هـ.
60. مصطفى مغزاوي، التحولات المذهبية في المغرب الإسلامي والأندلس خلال العصر الموحدي، أطروحة دكتوراه في التاريخ الوسيط ،المدرسة العليا للأساتذة ، بزريعة، 2011، 2012.
61. المقدم جيهان نور الدين محمد، ابن رشد والتنوير، دراسة عملية نقدية ، جامعة الأزهر.
62. النجار عبد المجيد، تجربة الإصلاح في حركة الهدي بن تومرت، ط2، المعهد العالي للفكر الإسلامي، فرجينيا الولايات المتحدة الأمريكية، 1415.
63. النفطي الفاطمي، هو محمد بن عمران النفطي ، كان قاضيا على مدينة طرابلس قبل أن يوليه المهدي قضاء القيروان،
64. هاشم زكريا، فضل الحضارة الإسلامية العربية على العالم، راجع هذا الكتاب، محمد أحمد المهدي، دار النهضة، مصر، القاهرة.
65. الهنتاني نجم الدين، المذهب المالكي بالغرب الإسلامي إلى منتصف الفرن15، دار تبر الزمان تونس، 2004.
66. الونشريسي أحمد بن يحيى، المعيار المعرب والجامع المغرب عن علماء إفريقيا والأندلس والمغرب إعداد: محمد حجي آخرون، بيروت، 1981.

الكتب المترجمة:

1. أنخل بالنثيا، تاريخ الفكر الأندلسي، تر: حسين مؤنس، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة.

المقالات:

1. ابن خلدون عبد الرحمان، المقدمة، دار صادر لبنان، 200م، ط1.

قائمة المصادر والمراجع

2. إدريس الهادي روجي، الدولة الصنهاجية، تاريخ إفريقيا في عهد بن زيري من القرن 10إلى 12م، تح: حمادي الساحلي، دار الغرب الإعلامي، لبنان، 1992م ، ج1.
3. البرزلي نوازل، أعرابسعد, مقال موقف الموحدين من كتب الفروع، مجلة دعوة الحق المغربية، يونيو، 1985، ع249.
4. بولقطيب حسين، ابن تومرت وتحديث الفكر الإسلامي، الاجتهاد، العدد 20، بيروت، 1993.
5. جاهين كامل محمد، صور من محن المحدثين، مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية، العدد2، مجلد 9، 2017.
6. دويم الحليم علي رمضان، محن العلماء في الأندلس في عصر بني نصر 635-897هـ/ 1238-1492م، مجلة كلية الأدب، العدد 2017م.
7. شاقور عبد السلام، جهود المالكية في مواجهة الفرق المخالفة في الغرب الإسلامي، مجلة التاريخ العربي، العدد41 جوان 2007.
8. الطراونة مبارك محمد، بلال راكان الهافري، حركة محمد بن مسرة ومذهبه الديني في الأندلس (269-318هـ/883-91م)، مجلة الدراسات الزرقاء للبحوث، مج 15، 2015 م.
9. طيطح نصيرة، ابن مسرة الأندلسي، إشكالية العقيدة والسلطة، مجلة مقاربات فلسفية، مج 2، ع 1.
10. عبد الكريم طهير، إسهامات بلاد المغرب في الحياة العلمية الأندلسية في العصر المرابطي (448-541هـ/1056-1147م)، مجلة القرطاس، ع3، جانفي 2017.
11. العبدالات فاطمة مفلح، (ابن طفيل بين أحياء الفلسفة وريادة الرواية الرمزية)، المجلة الأكاديمية للأبحاث، ع46، 5-02-2023.
12. عليلي محمد، الفكر المعتزلي في المغرب الإسلامي بواعث الظهور وأسباب الزوال، مجلة العبر للدراسات التاريخية والأثرية في شمال إفريقيا، مج 5، ع3، جوان، 2022.

13. عمر الطاهر نابي عمر، أسباب انتشار المذهب المالكي بالمغرب، مجلة الرسالة، العدد3، البليدة، 2007، ث 70.
14. فنير صبرين، بوعمامة فاطمة، الحياة المذهبية والعلمية في دولة الأغالبة (124-296م)، مجلة الأحياء، مج 24، ع34، جانفي 2024.
15. قوراري سلمان، قراءة في عوامل انتشار المهب المالكي، مجلة الحوار الفكري.
16. محمد علي سلمان، محن العلماء وأثرها على الحياة الفكرية في الأندلس، عصر بني أمية (138-422هـ/755-1031م)، مجلة الدراسات التاريخية والحضارية المصرية، العدد 10، ج2، 2021.
17. المغزاوي محمد، صمود المذهب المالكي في العصر الموحدي، دعوة الحق، ع 391، الرباط 2009م.
18. ملص مصطفى، محنة العلماء على يد الحكام والدهماء، مجلة الوحدة الإسلامية، ع146، 1435هـ/2014م.

الأطروحات:

1. حميش فاطمة الزهراء، محن علماء الأندلس في القرنين 8-9هـ/14-15م، مذكرة لنيل شهادة دكتوراه, جامعة الجزائر 2، أبو قاسم سعد الله، 1441-1442هـ/2020-2021م.
2. رضوان عبد القادر، مدينة القيروان في عهد الأغالبة، (184-296هـ)، أطروحة دكتوراه، جامعة أم القرى، 1412هـ-1991م.
3. كعوان حفيظ، أثر فقهاء المالكية الاجتماعي والثقافي في إفريقيا(2-5هـ/8-12م) مذكرة ماجستير في التاريخ الإسلامي، سامعي إشراف إسماعيل، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة باتنة 2009م.
4. ياسين معالي محمد علي، الأوضاع العلمية في الأندلس من خلال عصر الإمارة الأموية وعلاقتها مع بلاد المغرب والمشرق، رسالة ماجستير، جامعة النجاح الوطنية، فلسطين، 2017م.

الملاحق

الملحق 1

ولو حلف على حديث غيره كان حانثاً. قال ابن أبي سوار الجدي سمعت مالكاً يقول الأمر عندنا كذا فأخبرت به ابن أبي ذئب فقال: ما يحل لمالك أن يقول هذا، ليس هذا مما نحن عليه. قال فاعلمت مالكاً. فقال أنا لا أعتدّ برأي ابن أبي ذئب أعتدّ بمن أدركت من أهل العلم.

ذكر ما قيل في الموطأ من الشعر

من ذلك قول سعدون الورجيني:

أقول لمن يروي الحديث ويكتب ... ويسلك سبيل الفقه فيه ويطلب
إذا أحببت أن تدعى لدى الخلق عالماً ... فلا تعدُّ ماتحوي من العلم يثرب
أتترك داراً كان بين بيوتها ... يروح ويغدو جبرئيل المغرب
ومات رسول الله فيها وبعده ... بسنّته أصحابه قد تأدّبوا
وفرق شمل العلم في تآليفهم ... وكل امرئ منهم له فيه مذهب
فخلصه بالسبك للناس مالك ... ومنه صحيح في المجسّ وأجدب
فأبرى بتصحيح الرواية داءه ... وتصحيحها فيه داء مجرب
ولو لم يلح نور الموطا لمن يرى ... بليل عماه ما درى أين يذهب
فبادر موطأ مالك قبل فوته ... فما بعده إن مات للخلق مطلب
ودع للموطأ كل علم تريده ... فإن الموطأ الشمس والغير كوكب
هوالأصل طاب الفرع منه لطيبه ... ولم لا يطيب الفرع فالأصل طيب
هو العلم عند الله بعد كتابه ... وفيه لسان الصدق بالحق معرب
لقد أعربت آثاره ببيانها ... فليس لها في العالمين مكذّب
ومما به أهل الحجاز تفاخروا ... بأن الموطأ في العراق محبب
ومن لم تكن كتب الموطأ ببيته ... فذاك من التوفيق بيت مخيّب
فيعجب منه إذ علا في حياته ... تعاليه من بعد المنية أعجب
جزا الله عنا في الموطأ مالكاً ... بأفضل ما يجزي اللبيب المهذب
لقد أحسن التحصيل في كل ما روى ... كذا فعل من يخشى الأحدّ ويرهب
لقد فاق أهل العلم حيّاً وميّتاً ... فأضحت به الأمثال في الناس تضرب
وما فاقهم إلا بتقوى وخشية ... وإذ كان يرضى في الإله ويغضب
فلا زال يسقي قبرَه كلُّ عارضٍ ... بمندفق ظلت غزاليه تسكب
وتسقي قبوراً حوله دون سقيه ... فيصبح فيها بينها وهو معشب
وما بي بخلٌ أن تسقّى كسقيه ... ولكن حق العلم أولى وأوجب

الملاحق

الملحق 2

(٣٢) الإمام أحمد بن حنبل، المتوفى سنة (٢٤١هـ)

قال عنه الذهبي[1]: [الإمام حقاً، وشيخ الإسلام صدقاً، أبو عبدالله، أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد بن إدريس بن عبدالله بن حيان بن عبدالله بن أنس بن عوف بن قاسط بن مازن بن شيبان بن ذهل بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل الذهلي الشيباني المروزي ثم البغدادي، أحد الأئمة الأعلام.

هكذا ساق نسبه ولده عبدالله، واعتمده أبو بكر الخطيب في «تاريخه» وغيره.

قال أبو داود: سمعت يعقوب الدورقي، سمعت أحمد يقول: ولدت في شهر ربيع الأول سنة أربع وستين ومائة، وطلب العلم وهو ابن خمس عشرة سنة.

فسمع من إبراهيم بن سعد قليلاً، ومن هشيم بن بشير فأكثر، وجود، ومن عباد بن عباد المهلبي، ومعتمر بن سليمان التيمي، وسفيان بن عيينة الهلالي، وأيوب بن النجار، ويحيى بن أبي زائدة، وعلي بن هاشم بن البريد، وقران بن تمام، وعمار بن محمد الثوري، والقاضي أبي يوسف، وجابر بن نوح الحماني، وعلي بن غراب القاضي، وخلائق كثيرون.. فعدّة شيوخه الذين روى عنهم في «المسند» مئتان وثمانون ونيف.

حدَّث عنه البخاري، وحدث عنه مسلم، وأبو داود بجملة وافرة، وروى أبو

(١) ترجم الإمام الذهبي للإمام أحمد في كتابه «سير أعلام النبلاء» وبلغت الترجمة (١٨٠) صفحة (١١/ ١٧٧-٣٥٨).

داود، والنسائي، والترمذي، وابن ماجة عن رجل عنه، وحدث عنه أيضاً ولداه صالح وعبدالله، وابن عمه حنبل بن إسحاق، وشيوخه عبدالرزاق، والحسن بن موسى الأشيب، وأبو عبدالله الشافعي، لكن الشافعي لم يسمه، بل قال: حدثني الثقة، وحدَّث عنه علي بن المديني، ويحيى بن معين، ودحيم، وأحمد بن صالح، وأحمد بن أبي الحواري، ومحمد بن يحيى الذهلي، وخلق كثير ...

روي عن إسحاق بن راهويه، قال: أحمد حجة بين الله وبين خلقه، وقال محمد بن عبدويه: سمعت علي بن المديني، يقول: أحمد أفضل عندي من سعيد بن جبير في زمانه، لأن سعيداً كان له نظراء.

وعن ابن المديني، قال: أعز الله الدين بالصديق يوم الردة، وبأحمد يوم المحنة.

وقال أبو عبيد: انتهى العلم إلى أربعة: أحمد بن حنبل وهم أفقههم، وذكر الحكاية. وقال أبو عبيد: إني لأتدين بذكر أحمد، ما رأيت رجلاً أعلم بالسنة منه،

وقال الحسن بن الربيع: ما شبهت أحمد بن حنبل إلا بابن المبارك في سمته وهيئته، وقال النفيلي: كان أحمد بن حنبل من أعلام الدين، وقال أبو خيثمة: ما رأيت مثل أحمد، ولا أشدَّ منه قلباً، وقال علي بن خشرم: سمعت بشر بن الحارث، يقول: أنا أسأل عن أحمد بن حنبل؟! إن أحمد أُدخل الكير، فخرج ذهباً أحمر، وقال أبو زرعة: أحمد بن حنبل أكبر من إسحاق وأفقه، ما رأيت أحداً أكمل من أحمد، وقال النسائي: جمع أحمد بن حنبل المعرفة بالحديث والفقه والورع والزهد والصبر، قال الذهبي: وإلى الإمام أحمد المنتهى في معرفة السنة علماً وعملاً، وفي معرفة الحديث

وفنونه، ومعرفة الفقه وفروعه، وكان رأساً في الزهد والورع والعبادة والصدق[1].

محنتـــه:

أمتحن الإمام أحمد – رحمه الله – محنة عظيمة، طال زمانها، واستفحل أمرها، وتجرع الإمام غصصها، فقد تعاقب عليه ثلاثة خلفاء سُلطوا عليه، وهم المأمون والمعتصم[2] والواثق[3] وبذلوا كل ما في وسعهم، ومعهم علماء السوء والقضاء والوزراء والولاة الذين لا يحصيهم إلا الله، اجلبوا عليه جميعاً على أن يقول بخلق القرآن، لكنه – رحمه الله – ثبت ثبات الجبال الرواسي، فلم يبالي بحبس ولا قيود ولا ضرب السياط، ولا التهديد والوعيد، والنفي والتشريد عن وطنه ولم يثنه الوعد ولا الوعيد، فلم يجد عنَّا جاء في الكتاب والسنة، ولم يكتم العلم، ولا سلك التقية، بل أظهر من سنة الرسول ﷺ وآثاره ما دفع به البدع المخالفة لذلك، وتحمّل من الأذى ما لم يأت على عالم من نظرائه فقد سُجن وعُذب وضرب بالسياط في عهد المعتصم بعد وفاة المأمون، وبقي في السجن لمدة عامين ونصف، ثم أعيد إلى منزله وفرضت

(١) سير أعلام النبلاء (١١/ ١٧٧).

(٢) هو محمد بن هارون الرشيد بن المهدي بن المنصور، أبو إسحاق، المعتصم بالله العباسي بويع بالخلافة بعد وفاة أخيه المأمون سنة (٢١٨هـ)، واستمر في الخلافة إلى أن توفي عام (٢٢٧هـ). ينظر: الأعلام للزركلي (٧/ ١٢٨).

(٣) هو هارون بن محمد بن هارون الرشيد العباسي الملقب بالواثق بالله، أبو جعفر ولي بعد وفاة أبيه سنة (٢٢٧هـ)، امتحن الناس في خلق القرآن وسجن جماعة، واستمر في الخلافة إلى أن توفي سنة (٢٣٢هـ). ينظر: الأعلام للزركلي (٨/ ٦٢).

الملحق3

القسم الاول
المذهب الحنفي

الفقرة الأولى
ابو حنيفة

1-اصله ونشاته :

هو من اصل فارسي وقد اسر جده زوطي عندما فتح العرب فارس والعراق ، ثم اعتق وكان ولاؤه بعد ذلك لبني تميم بن ثعلبة . ثم اسلم وانتقل من « كابل » بلده الاصلي الى الكوفة ابن التقى بعلي ابن ابي طالب واصبحت بينهما محبة ومودة . وولد لزوطي هذا على الاسلام ولده ثابت الذي تعرف هو ايضا على علي ابن ابي طالب . وولد لثابت هذا ولد هو النعمان ، وهو الذي اصبح اماما في الفقه يلقب بابي حنيفة . وكانت ولادته بالكوفة سنة 80 هـ ، 699 م ، وبها حفظ القرآن واطلع على السنة . وكان يتعاطى بها تجارة الحرير ، ولم يتركها عندما اتجه الى طلب العلم بل بقي يمارسها بواسطة شريك . وقد شجعه اول الامر على طلب العلم احد علماء ذلك العصر وهو الشعبي ، ونلمس ما يؤكد ذلك فيما روي عن ابي حنيفة نفسه اذ قال :

« مررت يوما على الشعبي ، وهو جالس فدعاني ، فقال لي الى من تختلف ؟ فقلت : اختلف الى السوق ، فقال : لم اعن الاختلاف

الى السوق ، عنيت الاختلاف الى العلماء ، فقلت له : انا قليل الاختلاف الى العلماء ، فقال لي : لا تفعل ، وعليك بالنظر في العلم ومجالسة العلماء ، فاني ارى فيك يقظة وحركة ...

قال : فوقع في قلبي من قوله : « فتركت الاختلاف الى السوق واخذت من العلم ، فنفعني الله بقوله » .(1)

على ان اختلافه للعلم لم يترتب عنه انقطاع تام عن التجارة بل ظل يمارسها — كما سبق ان ذكرناه — بواسطة نائب ، ثم هو لم يتجه اول الامر مباشرة الى الفقه بعد انصرافه لطلب العلم بل بعد محاولات في ميادين اخرى.

دراسته لعلم النحو :

فقد اتجه اولا الى دراسة النحو ولكنه سرعان ما تركه لما تبين له ان لهذا العلم قواعد مضبوطة لا مجال فيها لاستعمال الراي والقياس حتى انه يروي انه اراد ان يجمل من جمع كلمة كلب كلوب قياسا على جمع قلوب من كلمة قلب . (2) وترك علم النحو حين علم ان الجمع يجب ان يكون « كلاب » وانه لا قياس فيه.

دراسته لعلم الكلام :

درس علم الكلام وتبحر فيه وقد تاثر بهذا العلم كثيرا ، على انه اعرض عنه آخر الامر لاسباب يذكرها لنا بنفسه كما يلي :

« راجعت نفسي ، وتدبرت ، فقلت ان المتقدمين من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم والتابعين ، لم يكن ليفوتهم شيء مما ندركه نحن ، وكانوا عليه اقدر وبه اعرف ، واعلم بحقائق الامور ، ثم لم ينتصبوا فيه منازعين ولا مجادلين ، ولم يخوضوا فيه ، بل امسكوا عن ذلك ، ونهوا عنه اشد النهي ، ورايت خوضهم في الشرائع وابواب الفقه ، وكلامهم فيه : اليه تجالسوا وعليه تحاضوا .. كانوا

(1) اورده محمد ابوزهرة — تاريخ المذاهب الاسلامية — ج 2 — ص. 133.
(2) تاريخ الفقه الاسلامي — ج 3 محمد يوسف موسى — ص. 34.

الملاحق

الملحق4

إن هذه المواقف التي عرفته الأندلس ستولد تناظرا عنيفا بين مؤيدي الفلسفة والمنطق وبين نفاتها، والمناظرات التالية تدلنا على ذلك:

-مناظرة الباجي لابن حزم حول مشروعية الفلسفة(55).

-مناظرة الباجي لابن هود حول الفلسفة(56).

-مناظرة ابن حزم للمالكية حول الفلسفة(57).

المذاهب الفقهية بالأندلس:

سبق أن ألمحنا أن الأندلس كانت تحت نفوذ الفقهاء، ويرجع النفوذ إلى السيطرة الفكرية والسياسية التي كانت للفقهاء، فقهاء الأندلس كانوا يشاركون في جميع مظاهر الحياة، فشاركوا في السياسة وتقلدوا مناصب سياسة كبرى(58). وشاركوا في القضاء، وكان منهم القضاة كالقاضي أبي بكر بن العربي المغافري-ت 543هـ-والقاضي يحيى بن عبد الرحمن بن وافد اللخمي-ت 404هـ- والقاضي محمد بن سليم-ت367 هـ-...(59).

إن الأندلس ولا شك كانت تزخر بالفقهاء، ومن مختلف الاتجاهات الفكرية والمذهبية، فقد كانت الأوزعية وهي المذهب الذي دخل الأندلس مع الفتح الأموي وكان ممن أدخل هذا المذهب صعصعة بن سلام الدمشقي الأندلسي مفتي الأندلس وخطيب قرطبة-ت192هـ(60).

وظلت الأندلس تعمل بهذا المذهب لمدة قرنين من الزمن وبالضبط من الفتح إلى سنة 230هـ، وقيل إلى عهد الحكم بن هشام بن عبد الرحمن الداخل(61) وأذاك سقط هذا المذهب، ومن المفيد أن سقوطه لم يكن لانتصار السياسة لمذهب مالك، أو لأنه لم يقع في طريق الحاج، وإنما سقط لضعفه الجدالي. فلما كان المذهب بيد مؤسسه الأوزاعي كان ينافح عنه ويدافع عنه، وجدال الاوزاعي لأبي حنيفة ومالك والثوري وغيلان القدري يظهر ذلك(62). لكن لما صار بيد أتباعه لضعف تذكراهم-أي تناظرهم- "روى سعيد بن عبد العزيز وهو من كبار أصحاب الأوزاعي كان يكاتب أصحاب الأوزاعي فيقول لهم ما لكم لا يجتمعون ما لكم لا تتذاكرون"(63).

إن ضعف المذهب الأوزعي سيترك المكان للمذهب المالكي الذي دخل الأندلس "برأي الحكم واختياره(64) ومن جهة، وبفضل رجاله كالغازي بن قيس

---

(54)- كتاب المدخل لصناعة المنطق : ابن طملوس ص : 8.

(55)- إحكام الفصول : الباجي ص : 531-530.

(56)- المواسم من القواصم : أبو بكر العربي ت عمار الطالبي 147-2/146.

(57)- رسالتان أجاب فيهما عن رسالتين ص : 74. ورسالة في الرد على الواقف: ابن حزم ص : 122.

(58)- تاريخ قضاة الأندلس: النباهي المالقي ص: 75 و 88 و 105.

(59)- المقتبس : ابن حيان ص : 33.

(60)- المقتبس من أنباء أهل الأندلس : ابن حيان ص : 494.

(61)- نفح الطيب: المقري، المجلد 3 ص : 230.

(62)- الإمام الأوزاعي : عبد الله الجبوري ص : 46.

(63)- نفسه 70.

(64)- نفح الطيب : المقري، المجلد 3/230.

أن لو كان إثبات مثل هذه المسألة مما يقنع فيه بالظن وهو غير مسلم فلم يبق غير التوقيف"(315).

إن الواقفية وغن كانت لا تثبت شيئا ولا تنفيه، فهي مع ذلك تقدم دليلها الاعتراضي على حمل الأوامر على معنى من المعاني السابقة "الوقف غير حاكم والساكت عن الحكم لا يفتقر إلى دليل"(316).

إن ما يهدف إليه هذا المذهب هو بناء الأصول على القطع، ولهذا كان لابد من التريث في حمل الأوامر على إحدى المعاني المعروفة، وهذه الظاهرة التي تسير عليها الواقفية تتناقض والظاهر لأن الظاهر يعني الفرض المسبق لحمل الأمر على الوجوب من غير وقف، ولهذا فلا يتهاون ابن حزم أكثر للقول بحمل الأوامر على الوجوب ابتداء، وبناء على الأدلة التالية:

-إن هذه اللغة قد أطبقوا على حمل الأمر على الوجوب لأنه لا يعقل أن يقال أن لفظ افعل لا يفهم منا لا تفعل "ومدعي هذا على اللغات وأهلها في أسوأ حال الكهان. وقد قال تعالى: □قتل الخراصون□(317)(الذاريات: 10).

-إذا كان هناك إجماع على أن دليل حمل الأوامر على الوجوب كامن في اقتران الأمر بوعيد، فإن كل الأوامر مقترنة بالوعيد "اعلم أن الوعيد من الله عز وجل، قد اقترن بجميع أوامر نبيه□ في قوله تعالى: □فليحذر الذين يخالفون عن أمره، أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم□(318) (النور: 63).

-إن اقتران مخالفة أوامره بالمعصية دال على حمل الأمر على الوجوب قال تعالى: □ومن يعصى الله ورسوله فإن له نار جهنم خالدين فيها أبدا□ (الجن: 23). "ولا عصيان أعظم من أن يقول الله تعالى ورسوله □ افعل أمر كذا، فيقول المأمور لا أفعل.."(319).

-وقد أورد حديثا عن أبي هريرة مفاده أن الأقرع بن حابس سأل النبي□ عن الحج بقوله "أحجنا هذا لعامنا أم للأبد". فقال-ص-: بل للأبد ولو قلت نعم لوجب. قال علي: فبين عليه السلام في هذا الحديث بيانا لا إشكال فيه، أن كل ما أمر به فهو واجب"(320).

-استدل بحديث بريرة وكانت قد سألت النبي□ إذ قال لها:

لو راجعتيه يعني النبي□ زوجها مغيثا، فقالت أتأمرني يا رسول الله، قال: لا إنما أشفع، فقد دل هذا عند ابن حزم على التمييز بين الأمر والشفاعة فالأمر للإيجاب والشفاعة لا توجب على أحد(321).

-وقال تعالى : □يا أيها الرسول بلغ ما انزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالاته□ (المائدة: 68).

---

(315)-الإحكام : الآمدي 2/15.

(316)-الإحكام : الآمدي 2/15.

(317)-الإحكام : ابن حزم 3/13.

(318)-نفسه 3/14.

(319)-نفسه 3/15.

(320)-نفسه 3/17-18.

(321)-الإحكام : ابن حزم 3/21.

فهرس

الموضوعات

فهرس الموضوعات

مقدمة	أ-هـ
الفصل التمهيدي: مفهوم محن العلماء	
أولا: المعنى اللغوي والاصطلاحي للمحنة:	7
أ- المحنة لغة :	7
ب- المحنة اصطلاحا	8
ثانيا: أنواع المحن	9
ثالثا: أسباب محن العلماء	12
رابعا: فوائد المحن:	13
خامسا: مؤلفات المحن	15
الفصل الأول: نماذج من محن علماء المالكية في بلاد المغرب	
أولا: بواعث انتشار المذهب المالكي وأعلامه	20
1- أسباب انتشار المذهب المالكي ببلاد المغرب الإسلامي.	20
2- أعلام الفقه المالكي ببلاد المغرب الإسلامي.	22
أ- عبد الله بن فروخ(ت176هـ).	22
ب- علي بن زياد التونسي (ت 183هـ).	23
ج- عبد الله بن غانم (ت190هـ).	24

فهرس الموضوعات

ثانيا: محن علماء المالكية خلال القرنين 2و3 للهجرة	25
1-أوضاع المغرب الإسلامي خلال القرنين 2و3 هجري.	25
2- نماذج من أعلام المالكية الذين امتحنوا.	27
أ- البهلول بن راشد (ت183هـ).	27
ب- موسى بن معاربة الصمادي (ت226هـ)	28
ج- سحنون بن سعيد التنوخي ت240هـ).	29
د- عبد الله بن طالب التميمي (ت275هـ).	30
ثالثا: محن علماء المالكية خلال القرن 4 للهجرة:	31
1- أوضاع المغرب الإسلامي خلال القرن 3 للهجرة.	31
2- نماذج من أعلام المالكية الذين أمتحوا في عهد الدولة العبيدية.	33
أ- محمد بن محمد بن سحنون (ت307هـ).	33
ب- أحمد بن نصر الهواري (ت317هـ).	34
ج- محمد ين محمد الطرزي (ت 311هـ).	34
هـ- محمد بن محمد بت الكباد (ت333هـ).	35
الفصل الثاني: نماذج من محن فلاسفة الأندلس	
أولا: مكانة الفلسفة في بلاد الأندلس (138-609هـ).	41
1- العهد الأموي.	41

2- عهد ملوك الطوائف.	42
3- عهد المرابطين الموحدين.	43
ثانيا: نماذج من فلاسفة الأندلس	45
1- **الفيلسوف ابن السيد البطيلوسي أنموذجا**	45
2- الفيلسوف ابن طفيل أنموذجا.	46
3- **فلاسفة آخرون.**	47
ثالثا: فلاسفة امتحنوا في بلاد الأندلس.	47
1- ابن مسرة القرطبي (269-319هـ).	47
2- عبد الرحمان بن إسماعيل (4410-1050م).	50
3- سعيد بن فتحون (ت444هـ-1052).	50
4- ابن رشد(520-595هـ).	53
الفصل الثالث: محن العلماء في العهد المرابطي والموحدي	
أولا: أوجه القمع الفاطمي لعلماء المالكية	60
أ- الاضطهاد المعنوي لعلماء المالكية	60
ب- جرائم الفاطميين ضد علماء المالكية	61
ثانيا: مضايقة الموحدية لعلماء المالكية	63
أولا- عوامل الصراع بين المالكية والسلطة الموحدية	63

فهرس الموضوعات

ثانيا –دوافع اضطهاد السلطة الموحدية للمالكية	67
ثالثا– دور العلماء في بناء الحضارة وانهيارها	71
1– إسهامات علماء المالكية في ترسيخ المهب المالكي	71
2– تداعيات السنة المالكية في العهد الموحدي	72
خاتمة	79
قائمة المصادر والمراجع	82
ملاحق	91
فهرس الموضوعات	96
ملخص	103-100

ملخص

ملخص:

شهد الغرب الإسلامي، وخصوصاً منطقتي المغرب والأندلس، محناً متكررة تعرض لها العلماء بمختلف تخصصاتهم، نتيجة للاضطرابات السياسية والتقلبات المذهبية التي ميزت تلك الحقب. ولم تكن هذه المحن مجرد حوادث فردية، بل كانت مظهراً من مظاهر الصراع بين السلطة والمعرفة، وبين الفكر المستقل والهيمنة الرسمية، في سياقٍ تاريخيٍّ معقّدٍ حاول فيه العلماء الحفاظ على استقلالهم العلمي في وجه التوظيف السياسي.

يتضح من تتبع هذه المحن أن معناها يتجاوز مجرد الأذى الجسدي أو النفسي، فهي تدل على صدام بين مشروع فكري ومشروع سلطوي، بين مبدأ الاجتهاد ومطلب الولاء. وتنوعت أسبابها بين الخلاف العقدي، أو الخروج عن المذهب الرسمي، أو معارضة سياسات الدولة، أو حتى بسبب الحسد والمنافسة. وقد أخذت صوراً متعددة من السجن والعزل والنفي والمنع من التعليم والفتوى، ووثقتها كتب التراجم والسير ومصنفات خاصة.

في المغرب، عانى فقهاء المالكية من المحن خلال الدولة الأغلبية، رغم أن المذهب المالكي كان معتمداً رسمياً، إلا أن العلماء الذين خرجوا عن طاعة الحاكم أو أفتوا بما لا يوافق توجهات الدولة تعرضوا للمضايقة. وفي عهد الدولة العبيدية، تحولت المحنة إلى صراع مذهبي بين العقيدة الشيعية الإسماعيلية الحاكمة والمذهب المالكي السني، فطورد الفقهاء، وأقصي المالكيون من القضاء والتعليم، مما أثر سلباً على حركة الفقه والفتوى.

أما في الأندلس، فقد كانت محن الفلاسفة أبرز مظاهر المواجهة بين الفكر الحر والنظام الديني والسياسي. دخلت الفلسفة إلى الأندلس من المشرق عبر حركة الترجمة، وازدهرت في مراكز كبرى مثل قرطبة، لكنها وُوجهت بالاتهام بالزندقة حين تعارضت مع الفهم الحرفي للنصوص أو العقائد. في العهد الأموي، عانى مفكرون مثل ابن مسرة من النبذ، وعاش ابن حزم عزلة فكرية بسبب آرائه الجريئة. وفي عصر ملوك الطوائف، اختلفت

ملخص

مواقف الأمراء تجاه الفلسفة، فبعضهم شجعها، وآخرون ضيقوا عليها أو منعوها، فكان الفيلسوف بين مطرقة الاتهام وسندان الصمت.

وفي العهدين المرابطي والموحدي بالمغرب، اشتدت المواجهة بين السلطة والعلماء. رغم أن المرابطين تبنوا المذهب المالكي ظاهرياً، إلا أنهم لم يترددوا في قمع العلماء الذين خالفوا توجهاتهم، مما أدى إلى تهميش عدد من الفقهاء أو نفيهم. أما الموحدون، الذين جاءوا بعقيدة جديدة، فقد اعتبروا المالكية عائقاً أمام مشروعهم الإصلاحي، فاضطهدوا العلماء، وعزلوا القضاة، وحرقوا كتباً فقهية، في واحدة من أعنف مراحل الصراع بين الفكر الديني الرسمي والتيارات العلمية المستقلة.

كل هذه المحن كانت ذات أثر بالغ في الحياة العلمية والفكرية. فقد أدت أحياناً إلى انغلاق المدارس الفقهية وركود الاجتهاد، لكنها كانت في أحيان أخرى سبباً في بروز تيارات مقاومة شكلت ضمير الأمة. كما أن تكرار هذه المحن ساهم في رسم حدود العلاقة بين العالم والسلطة، وبين الدين والسياسة، وكان لها دور محوري في بناء الحضارة حين حُترم العلماء، وفي انهيارها حين أُهينوا أو أُقصوا.

Résumé:

Le monde islamique occidental, en particulier les régions du Maghreb et de l'Andalousie, a connu des épreuves répétées infligées aux savants de diverses disciplines, en raison des troubles politiques et des fluctuations doctrinales caractéristiques de ces périodes. Ces épreuves ne furent pas de simples incidents isolés, mais bien des manifestations d'un conflit profond entre le pouvoir et le savoir, entre la pensée indépendante et l'autorité officielle, dans un contexte historique complexe où les savants tentaient de préserver leur autonomie intellectuelle face à l'instrumentalisation politique.

ملخص

L’analyse de ces épreuves révèle qu’elles dépassent le simple préjudice physique ou psychologique, traduisant un affrontement entre un projet intellectuel et un projet autoritaire, entre l’esprit d’ijtihad et l’exigence d’allégeance. Leurs causes étaient diverses : divergences doctrinales, rejet du dogme officiel, opposition aux politiques de l’État, ou encore rivalités personnelles. Elles prenaient différentes formes : emprisonnement, isolement, exil, interdiction d’enseigner ou de prononcer des fatwas, et furent documentées dans des ouvrages de biographies, d’historiographie et de traités spécialisés.

Au Maghreb, les fuqahâ’ malikites subirent des épreuves durant la période aghlabide, bien que le malikisme fût la doctrine officiellement adoptée. Les savants qui désobéissaient au pouvoir ou émettaient des avis contraires aux orientations de l’État étaient persécutés. Sous les Fatimides, la situation dégénéra en conflit doctrinal entre la foi chiite ismaélienne du pouvoir et le malikisme sunnite, entraînant la persécution des fuqahâ’, leur éviction de la magistrature et des institutions d’enseignement, avec un impact négatif sur la dynamique juridique.

En Andalousie, les épreuves des philosophes illustrèrent de manière éclatante la confrontation entre pensée libre et autorité religieuse et politique. La philosophie y fut introduite via les traductions venues d’Orient et connut un essor dans des centres majeurs comme Cordoue. Toutefois, elle fut vite suspectée d’hérésie lorsqu’elle entrait en contradiction avec la lecture littéraliste des textes religieux. À l’époque omeyyade, des penseurs comme Ibn Masarra furent marginalisés, tandis qu’Ibn Hazm vécut une forme d’isolement intellectuel du fait de ses idées audacieuses. Sous les rois de taïfas, les attitudes des souverains à l’égard des philosophes variaient : certains les soutinrent, d’autres les réprimèrent ou censurèrent leurs œuvres, plaçant ainsi les penseurs dans un dilemme permanent entre accusation et silence.

ملخص

Sous les Almoravides et les Almohades au Maghreb, la confrontation entre les autorités et les savants atteignit une intensité remarquable. Les Almoravides, bien que partisans apparents du malikisme, n'hésitèrent pas à réprimer les savants dissidents, provoquant leur marginalisation ou leur exil. Les Almohades, porteurs d'une nouvelle doctrine religieuse, considéraient le malikisme comme un obstacle à leur projet de réforme. Ils persécutèrent les savants, destituèrent les juges, et brûlèrent des ouvrages de fiqh, marquant ainsi une des phases les plus violentes de l'opposition entre savoir institutionnalisé et pensée libre.

Ces épreuves eurent un impact profond sur la vie intellectuelle et scientifique. Elles provoquèrent parfois la fermeture des écoles de jurisprudence et un gel de l'ijtihad, mais furent aussi, à d'autres moments, un catalyseur pour l'émergence de courants de résistance ayant nourri la conscience collective. La répétition de ces épreuves contribua à redéfinir les rapports entre le savant et le pouvoir, entre religion et politique, et joua un rôle central dans l'essor des civilisations quand les savants furent honorés, ou dans leur déclin lorsqu'ils furent méprisés ou écartés.